نور الجندي

كيف؟!

طِّم المسلمون قيد التبعيّة والحِصار

مؤسسة الكتب الثقافية

كيف يحطم المسلمون

قيد التبعية والحصار

أنور الجندي

مؤسسة الكتب الثقافية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُلتزم الطبع والنشر والتوزيع
مؤسسة الكتب الثقافية فقط

الطبعة الأولى

١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م



مؤسسة الكتب الثقافية
ص. ب (٥١١٥) - ١١٤
هاتف ٣١٢٠١٧
بيروت - لبنان

الباب الأول

الإسلام: هذا النور المبين

مهمـا ادلهمت الأحداث وأظلم الجو وتعقدت الأمور واستشرت المؤامرات في محاولة تنعقد لها الخناجر لإطفاء نور هذا الدين: الإسلام فإن هذا الأمر سوف تنعقد له علامات النصر وسوف يظهره الله على الدين كله، وإن الله تبارك وتعالى سيتم هذا الأمر حتى يحقق غايته ويقيم مجتمعه وينشر حضارته على العالمين ولسوف تتهاوى هذه الأصنام الضخمة، وسوف تنطفىء هذه المعالم المـــزدهرة، وسوف تتساقط هذه القواعد والقلاع لأنها ليست خالصة لوجه الله، وتلك سُنَّةُ الله تبارك وتعالى حيث تهرج هذه الظواهر وتبرق وتخدع الكثيرين وتأخذ بألباب البسطاء، الذين لم يتعمقوا مفهوم عقيدة التوحيد الخالصة.

ولقد ذهب بعض البسطاء وراء هذه الأضواء الساطعة ظناً منهم أنها هي المنطلق للأمم المغلوبة على أمرها ولكـــن الحقائق لم تلبث أن تكشف عن خداع هؤلاء ومكرهم وتآمرهم، وإن أصحاب دعوة التوحيد لن يصلح أمرهم إلا طريقهم الحق الذي رسمه لهم الحق تبارك وتعالى وقايسه لهم نبيهـم ﷺ الذي حذرهم من التبعية لأقوام حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه.

هذا الإسلام: الذي انتزع النفس الإنسانية ذات الفطرة النقية من الوثنية والمادية والإباحية والذي يكسب كل يوم أرضاً حتى في صفوف اعدائه وفي قلب الغرب وفي قلب الأراضي الشيوعيـة يوماً بعد يوم، حتى لا تطلع الشمس يوماً إلا على مسلم جديد ومأذنة جديدة.

وتتضح الصفحات يوماً بعد يوم لتضع تحت مجهر العلم والعقل حقائق جديدة ، تكشف زيف الدعاوى الباطلة ، والأساطير والخرفات التي خدعت الناس طويـلاً حيث ظهر محرر و النصوص القديمة من الإضافة والحذف ففي كل يوم تقترب النفس الإنسانية من الحق ، وينكشف لها نور جديـد ، وتنقشع عنها غلالة غاشيـة ، حيثما يذهب العلم الحديث في أجواء الفضاء فهو يتحدث عن خالق الكون وعن عظمة ما خلق ، وحيـث يذهب العلماء في أعماق الجسم الإنساني فالعلم يتحدث عن دقة الصانع وجلال صنعه وحيـث يذهب العلم وراء ما تدخره الأرض من معادن وكوبلت وبترول فهي تحدث عن حكمة الخالق الذي حفظ للبشرية طعامها وشرابها ملايين السنين وكل آية من هذه الآيات تكذب أباطيل الوثنيين والتلموذيين الذين يتحدثون عن نقص الغذاء في الكون بل آية الآيـات يختبرهم بعكس ما يقولون: وتكشف لهم قانون الوفرة وتعلن لهم سوء التوزيع وجشع المطامع وفساد التعامل.

هذا الإسلام الذي يدحض كل يوم نظريـة باطلة في علم النفس أو في علم الإجتماع أو في الأقتصاد أو في السياسة ليعلم الإنسان إن أيديولوجياته وفلسفاته باطلة وزائفة ، وإن كل ما حاول أو يطرح للبشرية من مناهج وقوانين في ميدان العلوم السياسة والاجتماعية منهارة، فما أسرع ما يصيبه الخلل والإضطراب ، وما أسرع ما يجري الفلاسفة وراء الحذف والإضافة بينما هنالك منهج الله واضح قوي مضيء يملأ الكون بنوره ويعلن من خلال تساقط هذه المذاهب كالفراش أنه هو وحده المنهج الحق الذي لا سبيل لهداية البشرية غيره.

ذلك هو الإسلام الذي مازال يملأ الدنيـا بضوئه الساطع منذ استعلن فجره وأشرق نوره ، ومنذ ذلك اليوم وهو العامل المؤثر وراء كل الأحداث ، والحقيقة التي يحاول أن يخفيها رجال السياسة وأصحاب المطامع تحت أسماء القوميـات والدماء والأوطان والأجناس ، لأنهم لا يستطيعون مكاشفة الناس بالحقائق.

وما من حدث يحدث على هذا الكوكب اليوم إلا وهو متصل به من قريب أو من بعيـد ، وما تجري هذه المحاولة الماكـرة التي تنعقد عليها خناجر الغرب والشيوعيـة

والصهيونية إلا لتأخير إشراقة الفجر، وتهديم كل ما يبني أهل الحق، وضرب كل معقل لهم يقام، وكل صوت لهم يستعلن، وكل كلمة لهم تعلو .

والحرب سجال بين الحق والباطل حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

إن الإسلام اليوم في مطالع القرن الخامس عشر هو الكلمة الأولى في كل صحافة واجتماع وسياسة وفكر وهو الأمل الكبير للمؤمنين وهو الحزن الكبير للظالمين:

ولقد جرت أبحاث العلماء منذ سنوات (١٣٩٩ - ١٤٠٣) في عشرات من المؤتمرات والندوات لتقويم الإسلام فماذا أسفرت أبحاثهم أو أبحاث المصنفين منهم: لقد أسفرت عن حقيقة أساسية هي أن (العالم الإسلامي هو الوحيد القادر على تشكيل كتلة ثالثة فعالة عالمياً) يقول الدكتور حامد ربيع: مازال العالم الإسلامي يملك عوامل قوة كامنة تكفل له أن يلعب دوراً فعالاً في النظام السياسي العالمي وهو في طريقه لهذه المشاركة يصطدم بالغرب الواقف له بالمرصاد، فالعالم الغربي من أثر الصحوة الإسلامية المعاصرة يعيش حالة خوف وقلق بالغين يصفهما البعض بالحالة المرضية، والمتتبع للعلاقة المعقدة بين العالم الإسلامي والغرب الذي أمسك بقبضته الاستعمار على العالم الإسلامي سنوات طويلة يلاحظ أن هناك تراثاً من كراهية المسلمين للغرب لا يمكن تجاهله وقد تصاعدت حالة الخوف الراهنة من الإسلام في السنوات العشر الأخيرة تصاعداً ملموساً جعلت طرح القضية أمراً لا بد منه، وقليلون في الغرب الذين يدركون كثيراً من حقائق الإسلام.

فالإسلام ليس مجرد اقتناع ديني كما يحاول البعض أن يصوره ولكنه حضارة متكاملة أيضاً، والحضارة تعترض وجود النظام الإسلامي المتكامل كما تعترض عملية إحلال وتجديد دائمين فهل ينطوي الإسلامي على هذه الإمكانية.

نعم: فالإسلام يجب أن يستعيد نفسه ويعيد بناء تركيبه الوظيفي من منطلق قيمه وخبرته التاريخية ووظيفته الحضارية، لكن من جانب آخر على عالم القرن العشرين أن يؤقلم نفسه مع الإسلام وإذا نظرنا إلى عناصر القوة والضعف في الواقع الإسلامي الراهن فإننا نجد الكثير من العوامل الإيجابية التي إذا أحسن استغلالها أصبحت

نتائج تفوق حقيقي فعدد المسلمين الآن لا يقل عن ألف مليون مسلم وامتدادهم الإقليمي يمتد على هيئة حزام من المحيط الهادي حتى المحيط الأطلسي فضلاً عن عالمية مبادىء الإسلام التي لم تتجاهل أبداً علاقة المسلمين بغيرهم إن الإسلام يمتلك من عناصر القوة الكثير والإطار الدولي الراهن ليسمح باستقبال الإسلام باعتباره قوة سياسية، ومن وجهة نظر المسلمين بالذات، فلماذا إذن لم يرتفع العالم الإسلامي بعد إلى مصاف القوى العالمية في العالم المعاصر، هناك عناصر الضعف في العالم الإسلامي في النقاط التالية:

١ـ التخلف الاقتصادي والاجتماعي للشعوب الإسلامية
٢ـ النقص القيادي في المجتمعات الإسلامية
٣ـ عدم بناء فكر سياسي متكامل بعيداً عن الوجود السياسي
٤ـ عدم وجود تنظيم دولي ثابت له الصفة الديمقراطية والمؤسسية يعبر عن الإرادة الإسلامية.
٥ـ عدم خروج المجتمعات الإسلامية إلى الوظيفة الكفاحية.

وهناك عامل سادس نصفه بأنه عامل الخطر الأكبر ونعني به دور القوى الخارجية للإسلام ويطلق على هذا الدور اسم التسميم السياسي وهو يهدف إلى تصور اقتناع لدى المسلمين بعدم الأصالة الحضارية وعدم صلاحية الإسلام كأساس للحياة. «(٧) التحذير من الحملات الإستعمارية التي تقصد إفقاد المسلمين الثقة في أوطانهم وحضارتهم الإسلامية عن طريق التخلي عن التراث الإسلامي لهم».

هذا النص من عالم الإستراتيجية والجغرافيا يكشف أمام المسلم جملة حقائق: أهمها تلك المحاولة الخطيرة التي ترمي إلى تأخير النهضة والحيلولة دون امتلاك الإرادة وهي المؤامرة التي تنعقد عنها خناصر كل القوى في الشرق والغرب والتي تستهدف الإسلام أساساً.

وإذا كانت هناك مدارس ترفض التراث أو مدراس تحاول صهر الفكر الإسلامي في قوالب الغرب بمعنى تطوير الإسلام لتبرير واقع الحضارة وفسادها ومعارضتها

لقوانين المجتمعات وسنن الحضارات، هذه هي الغاية التي يجري وراءها كثير من العلمانيين الذين يضعون أنفسهم في صف المفكرين المسلمين منذ وقت وهم يضربون معجزات الرسول ويبررون العبارات حتى يصلوا إلى تفسير مادي للقرآن والإسلام، وقد قامت في فترة سابقة جماعة المعتزلة الجدد يتمسكون بمفاهيم المنطق الصوري وعجزوا عن أن يستمروا لأن حركة اليقظة الإسلامية رفعت قرآنية الفكرة، والتمست منهج القرآن نفسه دون منهجي المعتزلة العقلانية أو منهج الفلاسفة الصوفيين الوجدانيين لأن مفهوم القرآن جامع للروح والمادة، مغاير للروحانيات التي تحملها دعوات ضالة معاصرة كالبوذية أصحاب مذاهب البزفانا أو البوجا وماديين وثنيين يستمدون فكرهم من اليونان والمجوسية، فالحقيقة إن للإسلام مدرسة واحدة هي مدرسة الأصالة التي تريد أن تعلم البناء الجديد على أساس العودة للمنابع! مع الاعتراف بواقع العصر وأساليبه والتعامل معه في مجال الحركة والمتغيرات دون التخلي عن ثوابت الإسلام الأساسية وهي حدود الله القائمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولقد ثبت للمسلمين في خلال معركتهم مع الغزو الثقافي والتعريب خلال القرون الأخيرة أنه لا سبيل إلى النهضة إلا الخروج من التبعية والتماس منهج الإسلام الأصيل وحده.

وقد تبين من التجارب التي جرت بين المسلمين والغرب في اقتباس الديمقراطية الليبرالية الرأسمالية أو اقتباس الماركسية الاشتراكية الشيوعية أن الفشل الذريع الساحق كان نصيب التطبيق فقد أكد الجسد الإسلامي نفوذه ورفضه لإدخال الغريب عليه، وتبين بعد الهزيمة والنكبة والنكسة أن لا سبيل للمسلمين إلى بناء حضارتهم من جديد إلا سبيل واحد هو طريق القرآن القائم على التوحيد الخالص والعدل والرحمة والإخاء البشري.

وكل التجارب والأدلة والخبرات وأوجه التعامل والبحث والتطبيق لنظريات الغرب في العلوم النفسية والإجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والتربوية تنكشف يوماً بعد يوم عن عجز وتناقض وفراغ وتمزق فهي لا تستطيع التجاوب مع تغيرات

العصور ولا مع اختلافات السيئات، وهي تبدو في نقلها إلى أفق الفكر الإسلامي والمجتمع الإسلامي كالثوب المهلهل وقد كان نتاجها أجيال مهزومة ضعيفة كليلة متهاوية لأنها اعتمدت على حضارة وصلت إلى مرحلة التشييع، وبدأت تواجه مرحلة الوجودية القائمة على الغربة والغثيان واللاوعي والأساطير.

ولا بد أن تجد النفس البشرية العالمية طريقها وجوهرها وأشواقها في طريق أصيل رباني المصدر إنساني الوجهة بعد أن تصدعت خلال هذا التيه الطويل منذ حملت مشعل النهضة وخرجت عن مفهوم الله تبارك وتعالى بوصفه الخالق والصانع والذي يمسك السماوات والأرض إلى مفهوم الطبيعة والجبرية والحتمية بعد أن حطمت شيئين أساسيين: تكامل الروح والمادة، وحطمت اخلاقية الحياة والمسؤولية الفردية والجزاء الأخراوي.

قد تدهش حين تسمع من الذين يدخلون حديثاً في الإسلام من أهل الغرب كيف يجدون في الإسلام الشيء الذي غاب عنهم طويلاً وطالما بحثوا عنه وحاروا في التماسه.

والغربيون الذين يتحولون إلى الإسلام بأعداد هائلة إنما يحدث ذلك لأنهم يجدون فيه اختياراً قابلاً للتطبيق ولهداية الحياة الإنسانية وإذا بحثنا في أعماقهم عن أرواحهم وعقولهم نجد أن الكنيسة المسيحية التي انتموا إليها ذات يوم قد خذلتهم وأصبحت عاجزة عن أن تعود بحياتهم إلى الأخلاق والقيم ونجد أن الحياة الغربية والعقيدة السائدة هناك وهي «العلمانية» قد حرمتهم من الملاذ والملجأ الذي يمكن أن يرجعوا إليه عندما تدهمهم المشاكل والمشاكل كثيرة هناك وأغلب المشاكل تتعلق بالفراغ النفسي والخواء الروحي الذي يجعل الحياة الإنسانية خالية من أي معنى.

ومعظم المسلمين هناك من الناس الذين عانوا من مشاكل الفقر والظلم الاجتماعي البشع في مجتمع الوفرة والثراء العريض، فلم يستطيعوا أن يجدوا أي علاج أو إهتمام من أي مصدر سواء كان دينياً أو اجتماعياً ولذلك تحولوا إلى الإسلام لأنهم وجدوا فيه عقيدة يمكن أن تصلح حياتهم وتخرجهم من اللاأخلاقيات والمشاكل التي

يواجهونها ووجدوا في القيم الإسلامية العدل الإجتماعي الذي يتوقون إليه والذي لم تستطع الحياة العصرية أن تحققه لهم . .

كــذلك فإنه بالنسبة للعدد الكبير من النساء اللاتي اعتنقن الإسلام فإنهن قد وجدن في الإسلام ما يحفظ كرامة المرأة ويكرم أنوثتها التي أهدرتها الحياة الغربية المادية ويعلن أن المرأة في هذا المجتمع الغربي الذي يدعي التقدم ما هي إلاّ دمية لمتعة الرجل ولاستغلال جسدها وفتنتها وعريها في الدعايـة والإعلان عن الأفلام والتلفزيــون ليكون وسيلة لترويج السلع وللربح ، وهو أمر لا أخلاقي يحطمن كرامة الأنثى وتعلن أن علاقة الرجل بالمرأة في المجتمع الغربي قد حولت المرأة إلى آلة لمتعة الرجل أو هي هكذا في نظر هذا المجتمع الذي هو في الواقع مجتمع لا ديني بحجة أنه مجتمع علماني .

ومدخل الكثيرين من الغربيين إلى اعتناق الإسلام يعود في أحيان كثيرة لرفض المفاهيم التي لا يقبلها العقل ويكشف العلم الحديث زيفها على النحو الذي يتحدث به الدكتور بوكاي : فكرة التثليث ووجود أكثر من إله وتناقض الكتب القديمة ، كل هذه الأقطار غير مقبولة وغير منطقية ومعقدة لا يقبلها العقل ولكن فكـرة التوحيـد الإسلامية بسيطة وسهلة ومنطقية وتتمشى مع الفطرة (عبد المنعم سلام) وهكذا ينفرج الستار قليلاً قليلاً عن ذلك النور المبين الذي يهدي القلوب .

وحين يتحدث أشهر أساتذة علم الأديان في أمريكا بروفيسور بروس لورانس فإنه يستطيع أن يقول الحق إذا كان منصفاً ولم يكـن ممن ألقيـت عليهم غلالات التبشير والاستشراق الداكنة .

لقد كان الغرب عموماً ينظر للإسلام والمسلمين على أنهم جماعة من العرب المتخلفين وأنهم يكرهون اليهود ويعادون كل ما هو غربي ، واستطيع أن أقول أن هناك تغيراً كثيراً اليوم ، فقد أدرك الغرب أن العالم الإسلامي يمكن أن يكـون قوة فعالة فإن ظهور الصحوة الاسلامية دفعت الغرب لأن يعيد النظر ويدرس الإسلام في محاولة لاكتشاف المستقبل وقد كان من نتيجة ذلك اكتشاف أن للإسلام حضارة

كاملة لها تراثها والغرب لديه مرونة كافية ليعترف بخطأ معتقداته السابقة لكي يفتح صفحة جديدة مع العالم الإسلامي وليعترف أن الإسلام ليس مجرد جماعة من المتعصبين . .

ونقف قليــلاً أمام هذه المحاولة من الغرب ولا نظن أنها ستكــون مخلصة أو متحررة ، وأنها ستكــون محاولة لاستقطاب هذه الصحوة ولمعرفة أبعادها لتدميرها والقضاء عليها وقد حدث هذا بالفعل وبدأت مخططات توهين هذه الروح عن منافذ كثيرة سواء عن طريق السياسة أو عن طريـق الاقتصاد ونحن نعرف أن الغرب لن يسلم بهذه الحقيقة ولكن سيعمل لمزيد من تعويق أمتلاك المسلمين لإرادتهم وإقامة مجتمعهم وتجديد حضارتهم .

ولعل للصهيونية ضلع كبير في إفساد تصورات الغرب نحو الصحوة الإسلامية ، ولكن لهذه الجولة سلبياتها وإيجابياتها ، وأهم إيجابيآتها تلك النظرة المنصفة التي تكشفت فيها أقلام من أمثال بوكاي وجارودي .

ولقد كانت أهم الحقائق التي كشف عنها الأعداء والنصراء على السواء ، هو أن الإسلام نظام حياة ومنهج بناء مجتمع لا ريـب بالرغم من صيحات بعض الساسة العرب بأكذوبة فصل الدين عن السياسة في المجتمع الإسلامي ، وإن كانت وكالات الأنباء العالمية وهي خاضعة للنفوذ الصهيوني تحاول أن تزيف الحقائق ، بالإثارة ، وباستعداء الغرب على المسلمين وتصويـر حضارة المسلمين بصورة الحرب والتسلط وهو ما هي براء منه وتاريخها شاهد .

وفي الحقيقة إن الأبحاث الجديدة تحاول أن تصور عدة أمور هامة :

الأمر الأول : هو الاعتراف بخطأ الغرب في إصراره السنوات الطوال على إنكار فضل الحضارة الإسلامية والدور العظيم الذي قام به المسلمون في بناء الفكر والعلم والحضارة الإنسانية .

وقد أشار إلى هذا الدكتور مارسيـل بوازار . كما أشار إليه بتوسيــع وإطالة الدكتور جارودي في كتبه الأخيرة ، وهو ما أشارت إليه الدكتورة سجريدة هونكة منذ

أكثر من عشر سنوات في كتابها الذائع «شمس الله تشرق على الغرب».

وهي الحقيقة التي تناولها قبل ذلك عدد من الباحثين الغربيين المنصفين أمثال جوستاف لونون، وكارليل، ودرابر.

الأمر الثاني: محاولة النظر إلى الإسلام نفسه على أنه من الأديان العالمية مع ضرورة الحوار معه والعمل على مواجهة الإلحاد والشيوعية.

الأمر الثالث: تخفف لهجة الكتابات الاستشراقية

وخفوت صوت التجامل والتعصب العنيف وإن لقيت روح التشكيك وإثارة الشبهات وظهور كتب جديدة لغربيين فيها روح الاعتدال ولكن الدعوة إلى الحوار بالرغم كل مظاهرها مازالت تخفي جوانب كثيرة تحتاج إلى يقظة وحذر شديد من جانب المسلمين فإن العملية بدأت من جانب الكنيسة واستدرج إليها كُتَّاب علمانيون تغربيون أمثال طه حسين وغيره في رغبة للحصول على إقرارات إسلامية بالإعتراف بالنصرانية دون مقابل من الجانب الآخر في نفس الوقت الذي استمرت فيه حركة التبشير النصيري بكل ثقلها على جوانب كثيرة من العالم الإسلامي وخاصة شرق وغرب أفريقيا وجنوب شرق آسيا في مخططات قيل عنها أنها رسمت خطة لتنصير المسلمين في هذه المناطق في خلال عشرين سنة أو خمسين مما سنتعرض له من بعد.

ومن هذه الظواهر: عودة الإسلام إلى الأندلس، وزحفه على أوروبا وتزايد أعداد المسلمين في فرنسا وألمانيا وتوسعه في مختلف أجزاء القارة الأوروبية والقارة الأمريكية وأستراليا.

وهذه ظاهرة بعيدة الأثر في إضاء الإسلام لقلوب عديدة في الآفاق الواسعة فها هو الإسلام يدخل هذه المناطق سلماً بعد أن استبعد منها وأخرج من الأندلس والبلقان فإذا أضفنا إلى ذلك تزايد عدد المسلمين في العقود الأخيرة على نحو واسع حتى في المناطق التي لا يستطيعون فيها إبلاغ إرادتهم كالمناطق الإسلامية في الاتحاد

السوفيتي بينما تتناقص أرقام المواليد في الغرب[1] على نحو خطير جداً، علمنا أن الإسلام يتدافع في قوة من حيث يمتلك أهله الآن القارة الوسطى الغنية بأنواع الثروة والخامات والطاقة، وقد تزايدت في السنوات الأخيرة مواردهم أضعاف بعد ارتفاع أسعار النفط كل هذه علامات بارزة في زحف الإسلام وتزايد إيقاعه في القلوب وفي الأرض على نحو يوحي بتغيير شامل في خريطة العالم في خلال هذا القرن الخامس عشر الهجري.

فالمسلمون اليـــوم يملكـــون قدراً وآفراً من العتاد الحربي (الطائرات والدبابات والأسلحة) وإن كانوا لا يملكـــون مصانع العتاد الثقيـــل، كما أنهم لايـــزالون في الخطوات الأولى لصناعة القنبلة الذرية وقد تعالت الأصوات في العراق وباكستان ثم خفت قليلاً بينما استطاع العدو الصهيوني أن يمتلك هذه القنبلة وكل الدلائل تؤكد أن العالم الإسلامي مؤهل لأن يصبح قوة فعالة قادرة على أن تتحكم في التوازن الدولي وأن ما يردده البعض في الغرب من أن العالم الإسلامي لم يبرز كقوة سياسية إلا بسبب البترول هو تصور قاصر فإن بين أيدي العالم فيما عدا النفط ـ الذي ربما انتهى أمره بعد خمسين عاماً ـ تلك القدرة الإستراتيجية بين البحار والقارات الفذة وتلك الثروات المخبوءة تحت الأرض وذلك التفوق البشري الكاسح . . كل هذا يوحي بأن العالم الإسلامي يتقدم خلال القرن الخامس عشر إلى أفق جديد . .

ولقد حققت حركـة اليقظة الإسلاميـــة خلال العقود الأخيرة نتاجاً وافراً حين كشفت عن أمور كثيرة:

(أولاً): كشفت عن كنوز الإسلام (في الفقه والعلم والعلوم الإجتماعية) التي

---

(١) قال إحصاء المعهد الديمغرافي الفرنسي سنة ١٩٧٥: سيواجه العالم الإسلامي ما بين ١٩٨٠ ـ ٢٠١٠ تزايداً ديمغرافياً كثيراً، ففي الشعوب ذات الأغلبية المسلمة سيزداد عددها بنسبة ٥٠٪ ومن الناحية النسبية سيزداد نسبة المسلمين بالنسبة لسكان العالم ٢٥٪ سنة ١٩٨٠ و٣٥ في المائة سنة ٢٠١٠.
وقد عمل الغرب على نشر تحديد النسل في البلاد الإسلامية ولكن هذه الدعوة فشلت هذا بالإضافة الى اعتناق الكثيرين الإسلام ففي السنغال مثلاً تحول ١٠٪ من المسيحيين إلى الإسلام كل عام وقد رصد الغرب ألوف الملايين من الدولارات من قبل مؤسسات وكنائس لتحديد النسل في العالم الإسلامي.

أقتبسها الغرب وبنى عليها نهضته، وأنكر ذلك الفضل حتى كشفته الأيام حدثاً بعد حدث وهو نتاج وافر فالإسلام هوالذي بنى المنهج العلمي التجريبي وهو الذي أنشأ منهج المعرفة ذي الجناحين وهو الذي قدم عشرات النظريات في الاجتماع والأخلاق والسياسة والتربية والاقتصاد مما هو مدخور في تراث الإسلام.

هذا العطاء الثري الذي أفاضه الإسلام على العلوم والفكر والحضارة خلال ألف سنة، في مواجهة تحديات الغرب الذي أنكر في إصرار وعناد وتعصيب عطاء الإسلام ثم عاد في العقود الأخيرة يعترف به.

(ثانياً): كشفت عن فساد مطروحات بنظريات الغرب وأيدلوجياته من الفكـر البشري الذي قدمته عقول ونفوس مليئة بالشهوات والمطامع والاستعلاء باللون والجنس على أمم العالم بدعوى حضارة الرجل الأبيض.

كما كشف الإسلام عن المحاذير التي أوقعها الإندفاع وراء الشهوات والأهواء في الغرب حين فصل بين الدين والسياسة وبين الدين والأخلاق وبين الدنيا والآخرة من تلك السموم والإضطرابات والأزمات والتمزقات في الأسرة والمجتمع الغربي اليوم بانتشار أمراض الزهري والسيلان والجنون والإنتحار.

(ثالثاً): ما كشفه أناس من علماء الغرب، ومن علماء اللاهوت أنفسهم عن فساد الكتب القديمة واضطرابها وتناقضها وتعارض ما فيها وما يقرره العلم الحديث مما يؤكد أنها ليست من عند الله تبارك وتعالى وإنما هي من أهواء الرهبان والأحبار بينما لا يجد الباحث في العلم العربي على أعلى مستوى في القرآن ومعطياته عن الحياة والحياة الأخرى وعن الكواكب والفلك والأرض أي ثغرة يمكن أن ينفذ منهـا ما يشتبه بأنه من الفكر البشري.

(رابعاً): زيف وفساد المناهج الغربية الوافدة تحت اسم المنهج العلمي والمنهج الفلسفي ومذاهب الرأسمالية والليبرالية، ومذاهب الاشتراكية والماركسية ومذاهب الفرويدية والدارونية ومذاهب البرجمانيـة ونظريـة ديـوي ونظريـة لاوجست كونت ومذهب التطور المطلق ونظرية النسبية والتفسير المادي للتنازع كما تبين فساد المنهج

المعتزلي والمنطق الأرسطي والمنهج الفلسفي الصوفي، وانكشف فساد كتابات ابن سينا والحلاج وأبو نواس، ورسائل أخوان الصفا كما تكشف فساد دعوات البهائية والقاديانية والفلكلور والماسونية والروتاري.

وتكشف فساد الفكر الباطني والوثني والإباحي المستمد من الفلسفات اليونانية والفكـــر العنوصي والمجوسي والهندي وعلت الصيحة بالتحرر من سارتر وفرويـــد وماركس.

(خامساً): ما كشفته حركة اليقظة من مؤامرات على الإسلام عن طريق التعريب والغزو الثقافي والشعوبية وما جرى من مؤامرات لضرب الإسلام من الداخل وإثارة الشبهات حول أن الإسلام دين عبادي لاهوتي وإثارة الشبهات حول مفهوم الجهاد، وما كشف عن فساد نظريات دارون وماركس ومعاداتها للمفاهيم الإسلامية.

ونحن إذا طالعنا ما كتب أولئك الذين انكشفت عنهم الحجب وعرفوا حقيقة الإسلام بالمقارنة بأديانهم وحضارتهم، نجد كيف برزت مجموعة من الحقائق كانت خافية على المسلمين في المشرق، أهمها:

أولاً: إشارة هؤلاء المنصفين ـ سواء من أسلم منهم أو لم يسلم بعظمة الشريعة الإسلامية وروعتها وسعتها، في نفس الوقت الذي يتحدث فيه التغربيـــون في قلب العالم الإسلامي عن أن المسلمين لم يكـن لهم فكـر سيـــاسي خاص بهم، أو أن شريعتهم هي شريعة صحراوية، أو أنها مرحلية فاتها الزمن، هذا فضلاً عما قررته المؤتمرات المتتالية وعلى رأسها أساطين علماء القانون، وما كشفت عنه الأبحاث من أن نظرية حرمة المساكن التي تحدث عنها الفرنسيون كانت نتاجاً إسلامياً قرآنياً، أو أن نظريـــة التعسف في استعمال الحقوق التي عرفتها القوانين الحديثة قد أُخذت من الإمام الشاطبي وقد كان العلماء الألمان ينبهون عنها في انتظار نظرية الإعتساف والتشريـع لها في القانون المدنـي ١٧٨٧ حتى جاء الدكتور فتحي إليهم وكشف في أطروحته عن المصادر الإسلامية لهذه النظرية.

ثانياً: الإشارة إلى أن الكتب القديمة حرقت وصحفت وزيـد فيها ونقص منها

وهو ما كشفته أبحاث علماء اللاهوت في العقود الماضية من هذا القرن مصداقاً لما جاء في القرآن الكريم في إشارته الكريمة إلى الصحف التي اخفيت **﴿تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً﴾**[1] على النحو الذي أفاض فيه الدكتور موريس بوكاي.

ثالثاً: تكشف كتابات الذين دخلوا في الإسلام من كبار المثقفين الغربيين أمثال لورد هدلي، دكتور خالد شلدريك، اتيان دنيتهليو بولد فايس أشياء جديدة:

هذه البساطة في الإسلام، وتلك الفطرة الطبيعية الصادقة التي تدفع إلى الخير وتنهي عن المنكر، هذا التوافق النفسي والتلاؤم الروحي، والبعد عن التعقيد، فمنظر المسلمين في الصلاة، وتكبيراتهم بصوت عال، يأخذ القلوب ويهز النفوس هذا النظام في الصلاة، الإنسان غير مجبر على أن يرفض الدنيا وليس ثمة حاجة إلى تقشف يفتح به الإنسان باباً سرياً إلى التطهر الروحي، الجمع بين الروحي والمادي، القدرة على بلوغ الكمال الفردي في الحياة بغير اماتة الشهوات الجسدية، لا قهر للنفس، بل هناك مجال واسع في الحياة الشخصية والاجتماعية كما تستطيع العواطف والميول أن تجد سبيلها إلى التطور الإيجابي، الإختبار في الإسلام الذي يقوم على أساس أن الاصل في طبيعة الإنسان هو الخير، على خلاف ما تقول بعض الأديـان من أن الإنسان خلق خاطئاً، أو إنساً، نرى الإسلام يقرأن الإنسان خلق طاهراً وخلق تاماً، الإسلام الذي لم يقف يوماً سـداً في وجه التقدم والعلم، التوفيق بين الناحية الخلقية والناحية المادية من الناحية الإنسانية، رسالة لا تجعل احتكار الدنيا شرطاً للنجاة في الآخرة، ليس هناك مجال للخيرة، إذا قبلنا تعاليمه كما بسطها القرآن الكريم فيجب أن تقبلها تامة وإلا خسرت قيمها، دين العقل البعيد عن الهوى، إنه يشمل الحياة بأسرها، ويهتم اهتماماً واحداً بالدنيا والآخرة، وبالنفس والجسد وبالفرد والمجتمع.

رابعاً: الإعتراف بفضل حضارة الإسلام على العالم وهذا دور شهد به درايز وجوستاف لوبون وسارتون وفصلته الدكتورة سجريد هونكه:

---

(١) سورة الأنعام الآية (٩١).

العرب وليس اليونان هم أساتذة أوروبا في النهضة العلمية الرياضية فأوروبا عرفت تراث العالم القديم عن طريق العرب فقط، فالعرب بأعدادهم وآلاتهم وحسابهم وجبرهم ونظرياتهم حول المثلثات الكروية وعلوم البصريات وغيرها نهضوا بأوروبا ودفعوها إلى الحركة العلمية دفعاً ومن ثم استغلت واكتشفت واخترعت وتسلمت زمام العلوم الطبيعية ان العرب هم مخترعو العلوم التطبيقية والوسائل التجريبية بكل ما تدل عليه هذه العبارة وهم المخترعون الحقيقيون للابحاث التجريبية وقد سبق العرب الأوروبيين بهذا الرأي ثمانية قرون قبل روجر بيكون وليونارد دفنشي ولن يتطرق إلى الجغرافيا والرحلات وفن المعمار وفن بناء البروج الحربية والموسيقى وليس صحيحاً أن العرب كانوا وسطاء ومحافظين وناقلين ولم يكن لديهم إلا القليل من المقدرة.

هذا الغرب امتصّ عصارة ما أنتجوه طيلة قرون طويلة توهجت فيها علومهم ومعرفتهم، وبلغوا من الحضارة الرفيعة ما أنكره الغرب عليهم ونسبها إلى أهله قال بروفسور بارثون: أنه لولا مؤلفات المسلمين لما عرف العالم الغربي اليوم شيئاً، ولتأخر رقيه مئات الأعوام على الأقل بل إنه كان لا يزال يسبح في الظلمات حتى الآن.

والإسلام وحده هو الذي أعطى العرب والشعوب الأخرى التي دخلت الاسلام هذه الطفرة القوية وهذه الثقة وهذا التفجر العقلي الجبار، وقد حرص النبيﷺ على إخراج المسلمين والإسلام من الحدود الجغرافية الشعبية الضيقة إلى الكون، فالعلم عبادة وجميع المعارف مصدرها الله وإليه تعود: إذن هو الإسلام وبينما حاول شارلمان وهو في سن متقدمة تعلم الهجاءة وحتى هذه التوطئة أعيته، وبعده بعدة قرون كان الأشراق الأوروبيون يتحايلون على التهرب من تعلم القراءة والكتابة: هذا الفن العسير.

لقد كان دافع هؤلاء العرب هو الإسلام في البداية فقد حضهم على العلم.

ولولا الإسلام ما جاءت الحملات الصليبية ولا احتك الصليبيون بالعرب

والمسلمين ولما أخذوا عنهم كل ما أخذوه ابتداءً من العلوم إلى الفنون إلى السلع التي لم تكن معروفة في الغرب.

إن هذه الطفرة العلمية الجبارة التي نهض بها أبناء الصحراء من العدم إلى أعجب النبضات العلمية الحقيقة في تاريخ العقل البشري فسيادة أبناء الصحراء التي فرضوها على الشعوب ذات الثقافات القديمة وحيدة في نوعها وإن الإنسان ليقف حائراً أمام هذه العقلية الجبارة: العقلية العربية ونقول بل العقلية الإسلامية.

خامساً: الاعتراف بفساد النظامين الرأسمالي والماركسي جميعاً، يقول الفيلسوف الإسلامي الفرنسي: رجا جارودي (روجيه جارودي سابقاً):

إن الخطيئة الكبرى في الحضارة الغربية أنها اعتمدت صيغة النمو المادي التراكمي. نمو الإنتاج ونمو الاستهلاك كمعيار أوحد للتقدم وللسعادة وللعمل الانساني.

ولكن ماذا بعد؟ ماذا بعد المزيد، والمزيد من إنتاج السيارات والماكنات وأجهزة الكومبيوتر، ماذا بعد المزيد والمزيد من البنوك والأرباح، ماذا بعد المزيد والمزيد من المدن والطرق والمصانع إلى أين سنصل بعد ذلك وأين النمو في القيم والأخلاق والمعاملات والسعادة الحقيقية. إن النتيجة الوحيدة لنظرية النمو التراكمية الحالية أن العالم أصبح يملك وسائل تدميره وليس مرة واحدة ولكن مئات المرات دون (نمو) مقابل في الضوابط والروادع الأخلاقية والروحية التي من شأنها كبح قوى الدمار، وجاءت الماركسية لترتكب نفس الخطأ بأسلوب آخر، اعتمدت الماركسية نظرية النمو المادي الرأسمالية ذاتها مقياساً للتقدم ومعياراً للسعادة الإنسانية، بل واتخذت وصف النمو الرأسمالي قانوناً دائماً بالنسبة لنمو الاشتراكية ذاتها فوقع النظامان في سباق واحد، سباق الإنتاج المادي المتزايد..

إلى ما لا نهاية وإلى ما لا غاية. والفارق فقط في الأسلوب بين نظام يعتمد المبادرة الفردية ونظام آخر يعتمد الديكتاتورية الجماعية ولكن التاريخ لا يعود إلى الوراء ولا يكرر نفسه ولا بد من نظام آخر للنمو فمن المؤكد في نظري أنه لا اشتراكية حقيقية

بنظرية النمو المادي الحالية، فلا اشتراكية بدون تسام وتعال روحي فوق المادة وفوق النمو الاقتصادي المحصن وتحقيق ذلك مستحيل في النظام الرأسمالي وفي النظام الماركسي لأن الاثنين واقعان في نفس الخطأ وهو محاولة إقامة حضارة بدون إيمان وبدون تسام.

في الحضارة الإسلامية لم يحدث هذا الفصل وهذه التجزيئية بين الأشياء في الإسلام العلم متصل بالدين والعمل مرتبط بالإيمان، والنبوة متصلة بالعقل، والأرض غير بعيدة عن السماء، والسماء على اتصال بالأرض، والتقدم الحضاري يسير صعداً نحو الوحدانية، هذه «الوحدانية» في مفهوم الحضارة ومفهوم الجماعة يحتاج إليها عالم اليوم المجزأ في كل شيء، هذا ما جذبني نحو المفهوم الإسلامي للوجود.

أريد أن يصبح الإكتشاف الفني الشعري وفعل الإيمان وفعل العمل السياسي في كائن واحد، هكذا يبلغ الإنسان الكمال، وهذا ما يفتقر إليه اليوم ساسة الغرب ومفكروه، هناك رسالة واحدة في هذا الكون وقد جاءت النبوات المتعددة في مراحل مختلفة لتقدم الأشكال المناسبة من تلك الرسالة الواحدة، كل في مرحلته وبطريقته وأسلوبه، والإسلام يقر بوجود هذه الرسالة الواحدة يونطلق منها ويعمل لإكمالها وعلى المسلمين اليوم استيحاء روح الإسلام لتطبيقها على المرحلة الحديثة بالشكل المناسب الذي يلائمها».

سادساً: ظهور طائفة الاعتزاز بالإسلام في وجه زيف الارتقاء المادي الباطل في الغرب ، يظهر هذا جلياً في كتاب سوزان جنيف:

(WHAT EVER YOU SHOULD KNOW ABOUT ISLAM AND MUSLIMS)

تقول لقد أصبح الآن واضحاً أمام المسلمين إدراك الحقيقة الجوهرية وهي أن التقدم المادي لا يؤدي بالضرورة إلى احترام الذات والقناعة الحقيقيين وأنه لم يجلب السعادة الحقة ولا الصبغة الإنسانية إلى عالم الغرب بل على العكس من ذلك، د

التقدم المادي على أنه نظام مربك وغير محكم بسبب مشاكل اجتماعية دينية واضحة، كونه بعيداً عن الآفاق الروحية والخلقية التي هي كالناحية المادية تماماً جزء مكمل لطبيعة الإنسان.

لقد كان يوحي للشعوب الإسلامية بطريقة صريحة أو بتحفظ بأنها متخلفة ومتدنية وبأن الطريق الوحيد للنهوض بها هو بترك الدين والتقاليد «وبتبني الأسلوب الغربي» ولقد صدق هذا كثير من الناس، أما «الأصلاء» فقد ألقوا على المجتمع الغربي نظرة جيدة فاحصة وأدركوا شركه ومن ثم أدركوا الحقيقة الأساسية وهي أن التعدد المادي والرفاهية لا يحققان كامل طبيعة الإنسان ولا يعدانه بالجنة الموعودة على الأرض وبعد أن يحصل الإنسان على كل هذا ها هو يسأل وماذا بعد:

إن الرفاهية مثل الفقر تماماً يمكن أن يترك الفرد فارغاً من الداخل ولقد أيقن هؤلاء أن بني الإنسان يجب أن يهتموا بما هو عمقاً وأكبر مغزىً من المحسوسات بالمعاني وليس بمجرد الماديات وبذلك توصلوا إلى اقتناع عميق بأن التراث الإسلامي هو أكبر قيمة بالنسبة لوجود الإنسان وأن دينهم يتفوق بتراثه وأسلوبه على أي نظام أو معتقد آخر، وأن المشاكل التي يواجهها العالم الإسلامي اليوم هي النتيجة المنطقية والمباشرة لسقوط المسلمين بعد أن بعدوا عن دينهم ولا يمكن لهذه المشاكل أن تحل إلاَّ بالرجوع المخصص إلى الإسلام والمبادىء الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يقوم عليها والتي لا تنسجم مطلقاً مع الأخلاق الانتهازية السائدة القائمة على استغلال الإنسان لأخيه من غايات أنانية صرفة.

فالإسلام يقف ممسكاً بالوعد الأكيد لأنه يحمل لشعوب هذه المنطقة فيما لو طبق بإخلاص وتعقل حالة الاستقرار والسلام التي تنشدها تلك الشعوب بعد أن عاشت سنوات في خضم اضطرابات ضخمة، فالالتزام بالمعتقدات والقيم الإسلامية تشكل الدفاع الوحيد والأكيد ضد الأطماع المختلفة في البلدان المسلمة وخاصة في أوضاعها الراهنة.

إن كل النظم الأخرى التي تنكر أو تقلل من قيمة طبيعة الإنسان الروحية أو تركز

على أحد الجوانب في طبيعة الإنسان على حساب الجوانب الأخرى، يجب أن تنظر لها على أنها محاولة يائسة قام بها الإنسان بغية أن يفهم ذاته ويجد الاتجاه الصحيح معتمداً على قدراته المنظورة والمحدودة ولقد ظهرت أديان وفلسفات ونظم منذ مسيرة الإنسان على هذا الكوكب ولكن أياً منها لم يفلح في حل الصراعات والمعضلات الجوهرية التي تنحر في الشخصية البشرية لأنها إجمالاً بشكل أو آخر أغفلت النواحي الأساسية في علاقة الإنسان مع الحقيقة الإلهية أو أنها اعطت الأولوية لو أحد من مظاهر الحياة الإنسانية على حساب المظاهر الأخرى، وبذلك عملت على صنع اختلاف مخيف، وغير متجانس داخل الأفراد والمجتمعات التي كانوا يعيشون فيها مما جعلها قاب قوسين أو أدنى من تدمير المجتمع الإنساني برمته، وفي ذلك الخضم برز الإسلام نظاماً وحيداً في العالم ينظر إلى الإنسان من الزاوية الأشمل ضمن إحاطة كاملة بالحقيقة الإلهية وفهم صادق لطبيعة الإنسان الخالصة مزوداً إياه بتوازن تام ما بين جانبيه المادي والروحي على حد سواء.

وما بين آمال وحاجات الإنسان الدنيوية وهدفه في الآخرة، إنه النظام الوحيد الذي يخضع الإنسان وحياته كلية إلى الله: الله الذي منحه هذه الحياة والذي لا يستحق خضوعه إلا له وحده، النظام الذي حرر الإنسان من ظلمات عبودية ومن قيم ونظم ورغبات من صنع البشر ليكتشف أن الله وحده هو مولاه الحقيقي، ولا أحد سواه، فالإسلام هو موجة المستقبل..

وهكذا تنكشف الحجب عن فهم عميق للإسلام في آفاق وبيئات عاشت في المادية عصوراً ثم أشرق عليها نور الدين، هذه الموجة القادمة من مؤمني الغرب يجب أن ترتطم بالقلوب المسلمة في البلاد العربية والإسلامية فتزيح الغشاوة عن عيونها وتعرف أنها كلمة الحق، جاءت أخيراً من مؤمني الغرب بعد أن كانت تأتي بالريح السموم على أيدي المبشرين والتغربيين والشعوبيين والباطنية الغربيين.

ولقد قبلنا الأولى وغرقنا في وحلها فهل نقبل الأخرى وهي التي تريد أن تسمو بنا إلى آفاق السماء وهدى الحق..

الباب الثاني

المؤامرة على الصحوة وأبعادها

ما كادت شمس الصحوة الإسلامية تشرق على العالم الإسلامي في العقد الآخير من القرن الرابع عشر حتى دوت صفارت الإنذار في معسكرات الغرب والشيوعية والصهيونية تعلن الحرب على هذه الظاهرة بغية إجهاضها أو الحيلولة دون تحقيق غايتها وأن تنهار قبل أن تصل إلى هدفها الذي تسعى إليه وبدأت دوائر السياسة في وضع عشرات من الخطط لتدمير هذه الصحوة وكانت الخطة قائمة على أكثر من وجهة:

أولاً: القضاء على التفوق البشري الإسلامي بإثارة دعوات تحديد النسل والإنفاق عليها وتهجير المئات والألوف من اليهود إلى البلاد الإسلامية وتشجيع الجاليات غير الإسلامية على زيادة النسل.

ثانياً: إمتصاص الثروة المالية التي تصل إلى العرب والمسلمين نتيجة زيادة أسعار النفط.

ثالثاً: الحيلولة دون وصول التكنولوجيا الصناعية إلى بلاد المسلمين لتبقى حاجتهم إلى استيراد الإستهلاكيات من الغرب وخاصة القمح، وحتى لا يتمكنوا من الاكتفاء الذاتي في مجال موارد الطعام.

رابعاً: إثارة الشبهات والسموم حول مفاهيم الإسلام الأساسية وخاصة مفهوم الإسلام بوصفه منهج حياة نظام مجتمع والحيلولة دون تطبيق نظام الاقتصاد غير الاسلامي، وإقامة حدود الله.

خامساً: الحيلولة دون وحدة العالم الإسلامي وإقامة فريضة الجهاد في وجه الغزو الصهيوني، وإبعاد الإسلام عن المعركة مع إسرائيل والصهيونية.

وفي ذلك يقول تصريـح يهودي: إن على وسائل الإعلام الإسرائيلي أن تنسى حقيقة هامة هي جزء من استراتيجية إسرائيل في حربها مع العرب، هذه الحقيقة هي أننا نجحنا بجهودنا وجهود أصدقائنا في إبعاد الإسلام عن معركتنا مع العرب ويجب أن يبقى الإسلام بعيداً عن المعركة، لهذا فيجب علينا ألا نغفل لحظة واحدة عن تنفيذ خطتنا في منع يقظة الروح الإسلاميـة بأي شكـل وبأي أسلوب ولو اقتضى ذلك الاستعانة بأصدقائنا لاستعمال العنف في إخماد أية بادرة ليقظة الروح الإسلامية، تخشى أن تشتغل الجماعات الإسلامية المعروفة بعداوتها لإسرائيل الفرصة لتحريك المشاعر الإسلامية ضدنا وإذا نجحنا في ذلك وإذا فشلنا في إقناع أصدقائنا بتوجيه ضربة قاضية إليها في الوقت المناسب فإن على إسرائيل أن تواجه حينذاك عدواً حقيقياً (لا وهمياً) وهو عدو حرصنا أن يبقى بعيداً عن المعركة وتجد إسرائيل نفسها في موضع حرج إذا نجح (المتعصبون) المسلمون في تحويـل معركتنا ضد البلدان العربيـة إلى معركة ضد (المجاهدين المتعصبين) أولئك الذين يعتقدون إن أحدهم يدخل الجنة إذا قتل يهودياً أو قتله يهودي».

وهذا تصريح يجب أن يقرأ كلمة كلمة، ويفهم مداه البعيد ويعرف ما تم فعلاً في كثير من البلاد الإسلامية للحيلولة دون أسلمة القضية الفلسطينية، وتذويب مفهوم الجهاد الإسلامي. وتأخير النهضة ومحاولة تحطيم امتداداتها.

وقد تصل النظرة الحاقدة على الإسلام إلى أبعد من ذلك، إلى الوهم وإثارة المشاعر نحو الإسلام.

يقول البير شامبرور في كتابه حمراء غرناطة: هذا العربي الشجاع استطاع أن يغزو نصف العالم وترك لنا في حمراء غرناطة آثار فخارة. إن هذا العربي الذي نام نوماً عميقاً مئات السنين قد استيقظ وأخذ ينادي العالم: ها أنا لم أمت، ومن يدري قد يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الفرنج مهددة بالعرب مرة ثانية في الوقت المناسب

والزمن المناسب فيحطمون الغرب بمددهم. لست أدعي النبوة ولكن الاتجاهات تدل على ذلك والإمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة، فترتعد من ذلك فرائضه ويخاطب أشباح الحمراء من فرسان العرب التي ما زال الكثيرون يؤمنون بظهورها في الليل في ساحة الأسود قائلاً: أبيدوا هذه الأشباح التي تنتظر البعث. أسكتوها إلى الأبد ومن قول زعيم أندلسي: إن قوى العرب مرصودة بسحر ولا بد من أن يأتي يوم تفك فيه عنها فيعود العرب إلى نشاطهم وسؤددهم.

وهكـــذا تستعمل الأساطير لتثير الغرب على المسلمين وتصورهم بصورة غير صورة المسلمين الحقيقية في عدالتهم ورحمتهم وكرامتهم وبعدهم عن الحقد والمكر والانتقام.

وهكذا تحاول تلك المخططات أن تزيف وجه الإسلام لتعمل على رسم صورة كاذبة للمسلمين لتؤخر النهضة الحقيقية في نفس الوقت الذي تدمر كل بناء قائم.

ولعل موقف الغرب من ثروة المسلمين الناميـــة وعملهم الدائب على تخريـــب اقتصاد الإسلام واضح في تلك المخططات الماكـرة التي يفرضونها حتى لا يتمكـــن المسلمون يوماً من إقامة حضارتهم المستقلة وحتى يظلوا تابعين تكنولوجياً واقتصادياً وحضارياً.

أما بالنسبة للشق الأول فإن الغرب يسيطر اليوم سيطرة تامة على الخامات والموارد الإسلامية تماماً وينقلها إلى بلاده وقد اتخذ هذا الأسلوب منذ خمسة قرون منذ بدأ عهد الإستعمار ١٤٨٢م عندما ظهرت الرأسمالية فحشدت الأموال والبشر ونظمت الإنتاج على أسس جديدة بعد غزو الدثور وتأمين وصول خيرات البلاد الإسلامية وقد تدفقت ـ كما يقول الدكتور عارف ليلى ـ الأموال على الغرب وتضاعفت الثورات المنهوبة من الهند وأندونيسيا مما أمكن به إقامة الثورة الصناعية في انجلترا وهولندا.

وعندما بدأت تسقط الأنظمة الاستعمارية وتحصل البلاد الإسلامية على استقلالها السياسي كانت قد طوقت بمعاهدات مع البلاد التي كانت تحتلها بحيث بقي النفوذ الاقتصادي قائماً وأصبحت هذه البلاد تقدم مواردها من بترول وكوبليت ومنجنيز إلى الغرب بأسعار رخيصة.

وقد شرطت الدول الكبرى على الدول المنتجة أن لا يكــون لها حق التصرف الكامل في حقوقها المالية وأن عليها أن تودع جزءاً منها في مصارف الغرب وقد بلغت هذه المـودعات خمسمائة مليـار دولار هي ما يطلق عليها فوائض أموال دول العالم الثالث المـودعة والمستثمرة في الدول الرأسماليـة المتقدمة، وفي نفس الوقت أخذت الدول ذات النفوذ تقدم قروضاً لبعض الدول المرتبطة بها تحت شروط مجحفة واستغلال موانىء وغيرها من التسهيلات بلغت نفس الرقم الذي أودعته الدول الأخرى في مصارف الغرب.

يقول دكتور عارف ليلى: منذ الخمسينات أخذ عجز البلدان النامية يتحول إلى ديون متراكمة حتى أصبحت متطلبات سداد الديون وفوائدها في العديد من البلدان تزيد على مجموع ما يتاح لها من قروض ومساعدات جديدة في الدول المتقدمة ولم يعد يتبقى لديها شيء من الفائض الاقتصادي من أجل التنمية.

ماذا نفعل من أجل إلغاء أو تضييق فجوة التخلف والفقر، ذلك أنه من حيث تريد البلدان النامية التغلب على الفقر والتخلف تجد نفسها في قلب دائرة الاستغلال من جديد فقد وقعت في شرك مدينونية هائلة يستنزف مواردها وجهودها، وبوسائل مشروعة أكثر بكثير مما كان يستنزفه الإستعمار في ظروف الإحتلال المباشر، هذه هي الدائرة المغلقة للفقر، نستدين لإلغاء الفقر فنقع في فقر أشد وأدهى، وكلما ازداد وضعها سوءاً ازدادت شروط الدائنين قساوة وازدادت أيديهم شحاً.

إن الزيادة التي تضاف سنوياً إلى متوسط الدخل الفردي في الدول المتقدمة مثل سويسرا والولايات المتحدة تفوق مجموع الدخل السنوي المتوسط للفرد في مثل الهند واليمن والسودان.

ولو نظرنا إلى الأمر بعين الإنصاف لوجدنا أن أموال المسلمين المودعة في المصارف الغربية هي أمر يتصرف فيه الاقتصاد الغربي دون شروط مسبقة وانه يخضع لظروف نزول العملة وانهيارها فيفقد أصحاب المودعات أموالاً طائلة دون أن يكون لهم الحق في الاختيار، أما الذين يقترضون من الغرب فإنهم يقعون تحت دائرة

شروط قاسية عنيفة، أما كان الأولى للمسلمين أن يقترضوا من المسلمين وإن هذه الفوائض تنفق في البلاد الإسلاميـــة، وأن يخضع لنظام الإسلام والقرض الحسن لتنمية بلاد المسلمين الفقيرة ورفع مستواها، وإقامة صناعات كبرى بها.

إن هذا كله يرجع إلى عجز المسلمين عن الخروج من الدائرة المغلقة المفروضة عليهم، ، دائرة الاقتصاد الربوي المسيطر ومتى يستطيع المسلمون إقتحام هذه العقبة. وكل هذه المحاصرة مقصود بها عدم امتلاك المسلمين لإرادتهم وهم يملكون اليوم موارد ضخمة ولكنهم عاجزون عن حرية التصرف فيها، فمن العجب أن يودع المسلمون فوائضهم في مصارف الغرب تحت نظام ربوي، بينما يقترض اخوتهم المسلمون ما يوازي مثل هذا المبلغ من القوى الغربية بشروط غاية في الإذلال والحقيقة أن أهم شروط لبناء اقتصاد إسلامي مستقل هو إزاحة الإستغلال وتحرير المواد الإقتصادية من أيدي القوى الأجنبية وتحقيق الإستقلال السياسي في الخمسينات والستينات - كما يقول باحثنا دكتور عارف ليلى - لم يحسن من وضعها كثيراً فهي ما تزال مرتبطة بالدول التي كانت تحتلها بمعاهدات تصدِّر لها مواردها وتستورد منها منتجاتها. وقد اعتقدت بعض البلدان النامية أن الحل يكمن في الإقراض من الداخل ولكن التبعية شديدة والبؤر الصناعية المتقدمة كانت جزراً أجنبية وليست جزءفا من الاقتصاد الوطني، هذا بينما دفعت صمنها الجماهير التي زاد فقرها وبؤسها يوماً بعد يوم.

ولقد كان النفط أهم الموارد في العصر الحديث في العالم الإسلام وكان مصدراً هائلاً للإزدهار الشامل في الغرب على مدى عشرات النسين، بينما كانت الشعوب المستعمرة تزداد تخلفاً وفقراً.

وعندما زادت فوائض النفط تصرف الغرب بمرونه وسرعة لامتصاص الصدمة وعكسها، هذا بالإضافة إلى الشروط القاسية التي وضعها على منح معونة أو قرض لاي بلد نام، فقد استوعبت كل هذه الأرصدة الفائضة للبلدان النامية دون شروط مسبقة ودون تكلفة حقيقة بل ومع استخدام جميـــع الوسائل لهضمها تدريجيـــاً،

والقروض المقدمة إلى البلدان النامية: يطلق عليها معونة، أو منحة، وهي لا تعطي إلا لتحقيق مصلحة مرسومة مسبقة للدول المانحة، فإن الغرب يتصرف بمنح هائلة حرة من أي شروط من البلدان النامية بالنسبة للأموال المودعة من البلاد العربية، حتى أن بعض مصارفه ترفض أحياناً دفع الفوائد العادية على الأموال المودعة فيها وهي تستخدم هذه الأموال في تغطية عجزها الخارجي والداخلي ولزيادة إمكانياته على فرض شروطه على البلدان المحتاجة للمعونة وزيادة تعنته وتصلبه في مجابهة مطالب البلدان الفقيرة بإقامة نظام اقتصادي دولي عادل.

وهكذا يجد العالم الثالث نفسه من جديد أمام مهمة إستعادة السيطرة على موارده وتوظيفها في مصالحه، وهذا ما يؤكد على التعاون المباشر بين البلدان النامية فخلال سنوات قليلة من ظهور هذه الموارد ارتفعت وبصورة سريعة المبالغ الموجهة منها للإقراض وإعانة البلدان النامية غير المصدرة للنفط من أجل مساعدتها على مواجهة اوضاعها الصعبة الناجمة من أزمة الاقتصاد الرأسمالي العالمي وعن ارتفاع قيمة مستورداتها من النفط.

وتحاول الدول الرأسمالية الغنية منذ ظهور فوائض مالية لدى بعض البلدان النامية التلكؤ في تقديم المعونة إلى البلدان النامية المحتاجة، وحصر معونتها مع عدد قليل من الدول ذات الارتباطات الخاصة التي تخدم نزعتها نحو الهيمنة، فإسرائيل وحدها تحصل على ثلث مخصصات المعونة الأمريكية، وترى الدول الغربية في تخلف العالم الثالث سوقاً سوداء ومتنفساً لتصريف أزماتها فيه مما يحقق لها أفضل الأرباح، وكل دولار يستثمره الغرب في البلدان النامية تقابله اليوم أكثر من ثلاثة دولارات عائدة من الأرباح والعائدات من الاستثمارات الغربية في هذه البلدان تحول بإستمرار تجاه البلدان الرأسمالية الكبرى.

ولا شك إن هذا العرض المستفيض الذي قدمه الدكتور عارف ليلى يؤكد وجهة نظرنا التي عرضناها مسبقاً وهي المؤامرة على الصحوة وتأخير النهضة وإستبقاء عالم الإسلام في براثن الإقتصاد الربوي العالمي الذي يكدس الثروات ويسحق الأمم اسلامية الضعيفة.

وأما الشق الثاني فمن ناحية أخرى مرتبطة تمام الإرتباط بهذا، الحيلولة دون تمكين العالم الإسلامي من بناء حضارته من جديد، ومن إقامة التكنولوجيا الخاصة به وقد ثبت تماماً أن العالم الإسلامي يواجه مقاومة شديدة من أصحاب التكنولوجيا فاعالم الغربي بشقيه حريص على أن يبقى العالم الإسلامي داخل اقتصاد الإستهلاك والإستيراد دون أن يمكن من الإقتصاد المتيح للسلعة، وأن يظل خاضعاً للتبعية التكنولوجية أو الإستعمار التكنولوجي، وكما يقول الدكتور اكثم الحولي، إنه يتبين تماماً أن الإستقلال السياسي الذي حققه بلاد العالم الإسلامي والنمو الإقتصادي لم يكونا وحدهما كافيين لتحقيق الإستقلال المنشود.

ويشير إلى أن المعارف التكنولوجية اليوم هي سلاح الاستعمار الجديد ووسيلة سيطرة أصحاب هذه المعارف على محتاجيها، ذلك أنه لما كانت الإنجازات التكنولوجية سلع تباع وتشترى ولها سوقها الدوليه التي يجري التعامل فيها بشروط قد لا يتصور الكثيرون مدى قسوتها وإجحافها لمشتريها، ويقول: إن العالم الثالث ينهمر عليه سيل دافق بل فيضان جارف من الآراء والاقطار عبر وسائل الاعلام القائمة وهذه القيم الآتية من الخارج والتي تغذيها حملات التسويق والاعلان لهذا المنتج أو ذاك بوسائل مؤثرة قائمة على ما اكتسبه الإنسان من معارف بخفايا النفس وطرق التأثير فيها، كل هذا يجعل طلبها إجتماعياً على سلع بالذات ويعطيها أوليات، إن كل سلعة تأتي إلينا من مجتمع غريب تحمل في ثناياها (قيم) هذا المجتمع وأسلوب حياته وهو ما يعبر عنه أحد المفكرين بقوله: «إن التكنولوجيا تحمل في ثناياها الشفرة الوراثية للمجتمع الذي أنتجها.

وقد اتضحت اليوم هذه الحقائق:

أولاً: إن النمط الحالي من التنمية أصبح غير مرغوب فيه وإن مساوئه المادية والمعنوية تزعج أصحابه وإن علامات التمزق الداخلي في هذه المجتمعات قد غدت واضحة للعيان، وإن تيارات العنف والاغتراب والصراعات بين الفئات فيه قد دعت

الكثير من عقلاء هذه المجتمعات إلى إطلاق صيحات التحذير والدعوة إلى تغيير المسار ووقف تيار الإندفاع نحو الهاوية.

ثانياً: هذا العالم المتقدم اعتمد في تحقيق غايته والوصول إلى ما وصل إليه على استنزاف الموارد الطبيعية التي بدت وقتها وكأنها بدون حدود، وهناك ملامح لنفاذ أنواع حيوية من هذه الموارد كما في حالة النفط مثلاً.

ولن يتاح بناء صرح التنمية في بلادنا على أساس من الاهدار البيئي المسرف والإتلاف البيئي المدمر الذي أصبح يهدد حياة موارد غذاء الإنسان في البر والبحر.

ثالثاً: جهود التنمية التي قامت في بلادنا على أساس محاكاة العالم المتقدم قد انتهت إلى عكس ما كنا نتوقع: (١) إتساع الهوة بيننا وبين العالم المتقدم، (٢) إتساع الهوة بين فئتين داخل مجتمعاتنا: فئة عريضة إزدادت فقراً وعزلة، (٣) مظاهر القلق الإجتماعي.

والسؤال الآن: إذا كان علم الغرب وتكنولوجيته قد أدت إلى تغريب الإنسان المسلم عن حضارته فهل سيترك الأمر لقوى خارجية لا حكم لنا عليها تصوغ حياتنا وتشكلها وفق مصالحها ومن خلال التبعية التكنولوجية والسيطرة على أسواق التكنولوجيا».

والمطلوب هو بناء أصالة حقيقية في هذا المجال تقوم على أساس مفهومنا الإسلامي الحضاري القائم على العدل والرحمة والإخاء البشري، وأن يكون لنا إرادتنا القوية في توجيه العلم والتكنولوجيا إلى تطبيق إسلامي أصيل يختلف تمام الإختلاف عن التطبيق الغربي المادي الوثني.

هذا عن تخريب اقتصاد الإسلام فماذا عن تدمير قوة المقاومة الإسلامية. إن هناك مؤامرة يجري تدبيرها منذ سنوات طويلة تحت اسم «الإنفجار السكاني» وتنظيم النسل يجري التخطيط لها والتنفيذ في عدد من الأقطار الواقعة تحت نفوذ الغرب

الرأسمالي الذي يقلص سكانه ويخشى زيادة سكان العالم الإسلامي ويهدف للمحافظة على وجوده وسلطانه. ذلك إن ظاهرة تقلص حجم المواليد في عالم الغرب وزيادة هذا الحجم في عالم الإسلام من الظواهر التي تزعج الرأسمالية الغربية والنفوذ الربوي الغربي المسيطر الآن على بلاد المسلمين والعرب إزعاجاً شديداً، ذلك لأنهم يحسون بمدى الخطر الذي ينتظرهم في السنوات القادمة ويترصد بهم نتيجة نضوب المواليد وتنازل نسبتها في البلاد الغربية فيما تزداد هذه النسبة وتتضاعف في بلاد أفريقيا وآسيا ولما كانت هذه الظاهرة ستصبح بعيدة المدى في متغيرات موازين السيطرة والنفوذ وتملُّك المواد الطبيعية والطاقة وغيرها في السنوات القادمة. فإن الغرب يشن حملة شديدة وعاصفة عنيفة على هذه الزيادة المضطردة بوصفها بعيدة الأثر في عالم الإسلام تحت اسم مثير هو ما يطلق عليه اسم الإنفجار السكاني ويجند له عشرات من الأقلام والمفكرين والساسة دون أن يشير إلى حقيقة الموقف وطبيعة التحول الاجتماعي والحضاري الذي يوحي بأن فساد المجتمعات الغربية، قد ادى إلى نضوب منابع «الوالدية» بها نتيجة لشيوع الخمر والمارجونا والترف، وانصراف المرأة الغربية عن رسالتها كلياً وكراهيتها الشديدة للولادة وتربية الأولاد والإسراف في عمليات الزواج غير الشرعي وظاهرة اللقطاء واستعمال حبوب منع الحمل، ولا شك أن الغرب يرى في ظاهرة التقلص في مواليده وزيادة نسبة مواليد المناطق التي تسمى «البلاد النامية» خطراً شديداً على نفوذه وعلى المقدرات التي يحصل عليها من الخامات والثروات والمواد الأولية وعلى كل ما يعينه على التفوق المتصل على عوالم أفريقيا وآسيا المختلفة. من أجل هذا نجد المجتمع الغربي لا يتبنى فكرة تحديد النسل فحسب، بل يفرضه فرضاً على عالم الإسلام، بينما يعلن البابا بولس الثاني عشر، رأيه صراحة في تأييد المسيحية لكثرة النسل ـ ويواجه المسلمون مع حملة تحديد النسل ـ ذلك التحدي الخطير تحدي الهجرة والنمو المتزايد لليهود في فلسطين ونمو المسيحية في أوروبا وفي أجزاء كثيرة من العالم الإسلامي بينما يجبر المسلمون بوسائل شتى منها الإغراء أو التعقيم الإجباري: كما حدث لمسلمي الهند على يد أنديرا غاندي على خفض تعدادهم وهنا تنكشف المؤامرة ويتبين أن هناك خطة مدبرة ضد المسلمين

بالذات ذلك أن غير المسلمين يخشون تكاثر المسلمين ويحاولون إيقاف هذا النمو المتزايد بكل وسيلة ولا ريب أن تهديد العالم الإسلامي بنضوب الثروات هو أكذوبة كبرى فإن الخطر الحقيقي كله كامن في سوء استخدام الثروات والكنوز التي تفيض بها الأراضي البكر وسوء التخطيط لتطوير إنتاجي أفضل، وبينما تنقل هذه الخامات الى بلاد الغرب وتنهب ثم يعاد تصديرها للأمم المترفة الإستعمارية بينما لا يحصل أصحاب هذه الثروات إلا على الفتات.

ويشير الدكتور خورشيد أحمد الأستاذ بجامعة كراتشي في بحثه الصفافي عن سوء نية الأوروبيين والتخطيط الاقتصادي لإدامة سيطرة لدول المتقدمة على الشعوب النامية، ويقول إن آسيا والعالم الإسلامي هي أكبر مناطق العالم اليوم ازدحاماً بالسكان. وأن هذا التفوق السكاني سوف يقضي على الأسس التي أقامها الغرب لسيادته السياسية في العالم منذ القرون الخمسة الماضية وعلى ذلك التفوق الفني والعلمي الذي كان له على الشرق، والذي به استطاع أن يقيم احتكاره السياسي على العالم، لقد آمن الاستعمار أن الغرب بوسعه أن يحتفظ باحتكاره السياسي على العالم إلى أبعد الأبعاد ولقد ظهرت بوادر الانحطاط والأفول في السياسة رغم الشعور بعد الحرب العالمية الأولى، خاصة بأن خطة تحديد النسل ضررها أكثر من نفعها من الوجهتين السياسية والاجتماعية، كان من نتائج ذلك أن فقدت فرنسا مكانتها العالمية شيئاً فشيئاً وأعلن المارشال تيان عقب الحرب ا لعالمية الثانية اعترافه بأنه من الأسباب السياسية الرئيسية التي عملت على توهين قوة فرنسا وإزاحتها عن مكانتها العالمية: قلة عدد الأطفال والسكان وقد بدأت آثارها السيئة في حياة إنجلترا وغيرها وأوجست خيفة من آثارها السويد وألمانيا وفرنسا وإنجلترا وإيطاليا، وشعرت بحاجة ماسة إلى إعادة النظر في خطتها بشأن عدد السكان ولهذا فهي جميعاً تبذل الآن جهوداً متتابعة لزيادة عدد سكانها بدلاً من تقليله.

إلا أن الغرب لن يستطيع مع كل هذه الجهود أن يزيد عدد سكانه إلى حد يستطيع معه أن يحتفظ بمكانته السياسية ويبقى متربعاً على كرسي السيادة العالمية، بل

الذي لا شك فيه أنه سيعود عاجزاً في المستقبل عن مقاومة الشرق والعالم الإسلامي مهما بذل من جهوده لزيادة عدد السكان في أقطاره».

وهكذا يتبين لنا ارتباط أبعاد هذه المحاولة الخطيرة التي يقوم بها الغرب لإيقاف النمو السكاني والتفوق البشري في عالم الإسلام وكذلك لإيقاف القدرة على استعمال التكنولوجيا والسيطرة عليها أو تحويل إرادة المسلمين والعرب لتوجيه مقدراتهم وثرواتهم الاقتصادية والمالية إلى طريق الاستهلاك والترف.

وترتفع اليوم صيحة عدم كفاية الغذاء المتاح للاستهلاك الأدنى لسد الحاجات الضرورية، والحقيقة أن المواد كثيرة وأن هناك قانوناً أصيلاً هو قانون الوفرة وإن في أعماق البحار وفي الصخور والجبال ثروات ضخمة لم تكشف بعد وإن الموجود منها وفير لو أن هناك عدالة في التوزيع وإذا كانت أمة واحدة تنفرد بنسبة ستون في المائة من الإنتاج العالمي بينما تعدادها لا يزيد عن ١٥٪ من مجموع سكان العالم فإن هذا يعطي الإشارة الحقيقية إلى سوء التوزيع.

هذا يحدث في الوقت الذي ينفق العالم على التسلح ٦٥٠ مليون دولار سنوياً في نفس الوقت الذي يعجز عن إطعام خمسمائة مليون فرد يعانون اليوم من الجوع أو النقص الشديد من التغذية حيث يموت ثلاثون مليون نسمة سنوياً بسبب سوء التغذية وإن ما تقدمه البلدان الغنية للبلاد الفقيرة لا يزيد على واحد في المائة من قيمة السلع التي تنتجها.

ولا ريب أن ما ينفق على إنتاج صاروخ جديد عابر للقارات يكفي لغرس ٣٠ مليون شجرة، أو ري مليون هكتار من الأراضي الزراعية أو إطعام ٥٠ مليون طفل من البلدان النامية أو شراء مليون طن من الأسمدة أو بناء ٦٥ ألف مركز لرعاية العجزة أو بناء ٢٤٠ ألف مدرسة ابتدائية وهكذا يكشف مدى الظلم والتآمر الذي يواجه العالم الإسلامي بهدف إكراهه على التسليم والركوع والخضوع لنفوذ الدول الكبرى وسيطرة القوى الغازية.

ومما يزيد في الأمر خطورة أن أكثر الدول النفطية مرتبطة بالقوى الخارجية مما أدى

إلى زيـــادة تبعيـــة هذه الدول كما أدى إلى استغلال العوائد النفطيـــة لشراء سلع استهلاكية من الدول الغربية وإلى استثمار بعضها الآخر في الدول الغربية. وقد أدى هذا إلى فرض لون من التبعية لهذه الدول أدى إلى أنواع من التدخل الخارجي لإيقاف النمو والحيلولة دون امتلاك الإرادة والمعروف أن الايداعاة الورقية في الأسواق المالية قد أصبحت أشبه بالرهائن هناك ، لدوام تبعيـــة النظام الاقتصادي العربي للنظام الغربي مما أضعف القدرة على تحقيق خطوات أكثر إيجابية في المعترك الدولي، فضلاً عن أن توظيف النفط لم يساعد على صنع تكنولوجيا محلية ولا على استيراد تكنولوجيا ملائمة لإقامة تنمية حقيقية وشاملة ، وإنما بقي الموقف على حالته الأولى وهو تحقيق الأنماط الاستهلاكية التي تؤدي إلى هدر للإمكانيـات والتي تعرض المجتمع لمخاطر كثيرة والتي ما زالت تحول دون قيام صناعات كبرى في البلاد العربية كذلك لم يمكن النفط ومواردة من إقامة نظام تعليمي إسلامي أصيل ولا بناء مجتمع إسلامي أصيل، وإنما أرغم المجتمع الإسلامي على التبعيـة لأنماط المجتمعات الغربيـــة القائمة على الاستهلاك والترف كما كان للثراء أثره في اهتزاز الشخصية وانحرافها.

وبالجملة وهذا ما قررته مؤتمرات كثيرة عقدت وأبحاث كثيرة نشرت أن ثروات الوطن العربي تهدر في الإنفاق الاستهلاكي المفرط وأن هذا الوطن لم يتمكن من استغلال موارده الطبيعية، والبشرية في تحقيق التكامل وأن العرب مازالوا عاجـزين عن التأثير على العالم وسيظلوا كذلك طالما هم في حاجة إلى إطعام أنفسهم واستيراد السلع الغذائية الاستهلاكية وما تزال قدرتهم قاصرة على الاكتفاء في هذه الناحية التي هي مصدر تهديد لهم وتأخير لانطلاقتهم.

إن هناك عوامل كثيرة في تأخير النهضة لا تتوقف عند تخريب الاقتصاد الإسلامي أو نهب الثروات وإنما هناك الخطر الأكبر الذي أصاب العالم الإسلامي منذ بدأت الغزوة الصهيونية لتحدث تأثيرها الخطير والشديد على مفاهيم المسلمين، وعلى حياتهم وعلى مجتمعهم وعلى اقتصادهم.

وتشدهم شداً في مواجهة غير متكافئة في مطمع واسع كبير لا يتوقف عند الوطن

القومي أو الهجرة اليهودية من اضطهاد واقع أو محتمل من النصرانية في الغرب إلى طمع في السيطرة وإقامة الامبراطورية الصهيونية: امبراطورية الربا من النيل إلى الفرات.

حقاً، لقد كانت الغزوة الصهيونية من أخطر التحديات التي واجهها المسلمون في القرن الرابع عشر الهجري، والتي تآمرت القوى الكبرى على توجيهها كضربة قوية إلى المسلمين لتأخير امتلاكهم لإرادتهم ولتكوين مجتمعهم الإسلامي الأصيل بعد الغزوة الاستعمارية التي كانت قد أوشكت على نهايتها، تلك الغزوة الصهيونية التي مزقت وحدة العالم الإسلامي وفصلت وحدته إلى قسمين حيث قامت كعنصر غريب في وسطها، في أشد المواقع حساسية في قلب هذا المجتمع، في بيت المقدس على مرمى البصر من المركز الإسلامي الأساسي للإسلام: (مكة والمدينة) على النحو الذي سبق به تآمر مخطط الحروب الصليبية التي كانت تطمع في الإستيلاء على موقع نزول المسيحية وكنيسة القيامة.

وقد جاء هذا المخطط الجديد في مؤامرة واسعة بدأت عندما أعلن المؤرخون بأن الحضارة الغربية لا بد أن تسقط وشيكاً كما سقطت الحضارة الرومانية، وتبين أن المسلمين هم وحدهم الذين يملكون أعظم منهج لقيام حضارة إسلامية عالمية وعقدت الخناجر على تأخير هذه الغاية وقد اتفقت كلمة المؤرخين والباحثين على تمزيق وحدة آسيا وأفريقيا الإسلاميتين بإقامة شعب عازل ليس من جنس هذه الأمة، وكان أن ظهرت فكرة الصهيونية التي ادعت أن لها ميراث قديم في هذه الأرض وجرت المؤامرة إلى غايتها حيث مكنت الدول الغربية شذاذ الآفاق من السيطرة على هذه المنطقة ١٩٤٨ ثم تم لهم ١٩٦٤ الاستيلاء على القدس.

وقد أحدث سيطرة إسرائيل على فلسطين تغييراً شديداً في وجه العالم الإسلامي كله وخاصة الدول العربية وكان مصدراً لتكبد خسائر كبيرة، وهجرة الملايين من سكان فلسطين وإقامتهم كلاجئين في البلاد المجاورة، ثم كانت تلك الحروب التي لم تحقق شيئاً هاماً، وبذلك تحولت برامج البلاد العربية إلى مواجهة فلسطين وإنفاق

مبالغ ضخمة في التسليح، وفيما سوى حرب رمضان التي زحزحت إسرائيل عن بضعة كيلو مترات من صحراء سيناء مكنت من فتح قناة السويس فإن العرب لم يستطيعوا تحقيق انتصار حقيقي، بينما تضاعفت قوة إسرائيل حتى أصبحت تماثل قدراً أكبر من قوة البلاد العربية المجاورة لها، هذا فضلاً عما أحدثته هي والدول الغربية المؤيدة لها من اضطراب وتمزق بين الدول العربية، فقد جرت المؤامرات للحيلولة دون قيام وحدة عربية أو إسلامية في مواجهة إسرائيل، مع أن الدول الإسلامية تمتلك في مجموعها قوات حربية وعسكرية ضخمة، ولكن تمزق هذا العالم بين ولاء لأمريكا أو لروسيا كان بعيد الأثر في عدم القدرة على خطوة حاسمة لمقاومة هذا النفوذ الذي غزا بلاد المسلمين وسيطر عليها وأقام عليها.

وتجري هذه القوى الثلاث: الصهيونية والغربية والروسية في تنسيق بينها في مواجهة الإسلام والعرب، على عدم تمكين العرب والمسلمين من امتلاك إرادتهم، وتجري هذه المؤامرات على مخططات مختلفة، ولكنها تجمع على العداء للإسلام والحيلولة بين المسلمين وبين إقامة مجتمعهم الأصيل، وعلى أن يبقوا تابعين خاضعين للنفوذ الأجنبي يتحركون في إطار الأيديولوجيات الماركسية أو الغربية.

ويجري من أجل ذلك إخفات صوت الفكرة الإسلامية التي تعلن في إصرار بأن السبيل الوحيد الذي ينقذ العالم الإسلامي من الانهيار والتمزق والذوبان بعد هذه المراحل المتصلة من الاحتلال الغربي، والاستقلال الجزئي والاحتلال الصهيوني، وبعد التجربتين الليبرالية الغربية والماركسية الشيوعية، لم تفلح، هذا السبل هو التماس مفهوم الإسلام وتطبيق نظامه وإقامة مجتمعه..

ولا ريب أن الاحتلال اليهودي لهذه المنطقة من قلب العالم الإسلامي بعيدة الأثر في تعويق النهضة وتأخير امتلاك الإرادة الحقيقية للمسلمين، فقد طرحت هذه الدعوات الثلاث سموماً شديدة الخطر في مجال السياسة والاجتماع والاقتصاد وماتزال آثارها باقية بقاء التابعين لهذا التغريب والموقدين لناره حيناً بعد حين، وقد جاءت ثروة النفط كمعادلة حقيقية إزاء السيطرة اليهودية وكمورد حقيقي للمسلمين لامتلاك السلاح القادر على إحداث معركة فاصلة لإجلاء هذا النفوذ، ولكن الخطط التي

تجري الآن في مقاومة النفوذ الصهيوني أو استعادة فلسطين ، إنما تجري على أسلوب الغرب نفسه، بعد احتوائه لمفاهيمنا لتجري في دائرته المغلقة، فقد استطاع نفوذ الدول الغربية ان يحصر القضية بين العرب أنفسهم ويحول دون جعلها قضية إسلامية وأن يجعلها قضية سياسية وليست قضية عقائدية، فالعاملون في حقل القضية يتحركون في إطار الأسلوب الغربي نفسه، ولا يستطيعون الخروج عليه، ولا يستطيعون أن يجعلوها معركة إسلامية أصيلة من حيث إعلان الجهاد المقدس لتحرير القدس وفلسطين، ويرجع هذا في الأغلب إلى عدم وجود عناصر تؤمن بالأسلوب الإسلامي في حل المشاكل من مكان القيادة، وإن القادة الذين يعملون في الساحة اليوم يعتمدون الأسلوب الغربي السياسي في حلٍّ هذه القضية، وهو أسلوب لن يستطيع أن يحقق نتائج ذات بال .

بل إن الإنفاق لفوائد الثروات الإسلامية لا يجري على أسس سليمة وفيه إسراف كثير، وأن هناك مبالغ ضخمة تنفق على وجهات نظر ذاتية خطيرة بينما لم يؤدى فيها حق الله من زكاة الركاز التي هي حق للمسلمين جميعاً للدفاع عن مقدساتهم.

ولقد استنزفت هذه الثروة من المسلمين خلال ثلاثين عاماً فكراً ومالاً، وأوقفت دولاب الحياة والنماء والتقدم.

واستطاع الغزاة أن يفسدوا المفهوم الإسلامي الأصيل في مواجهة الغزو، بعد أن سيطر المفهوم الإقليمي والقومي الوافد وكلاهما استطاعا حجب مفهوم الوحدة الإسلامية الأصيل الجامع، فنظر كل إقليم إلى هذه الأزمة الخطيرة من وجهة نظره الضيقة دون أن يقدر أن الدائرة سوف تتسع حتى تشمل الأمة كلها إن لم تقف صفا واحداً إزاء الخطر، بل لقد ذهب البعض مذهباً خطيراً في تحامي العدو أو التعاون معه، أو الاستخفاف بالخطر والأمن من التحدي القائم والانطلاق في حياة مترفة رخيصة دون النظر إلى البعيد مع أن الرسول ﷺ قد حذرنا وطالبنا بأن تكون هناك تعبئة عامة ورباط دائم لأن التحدي الناتج من الخطر الزاحف على الإسلام وعالم الإسلام لم يتوقف ولن يتوقف.



الباب الثالث

المؤامرة على المنهج الإسلامي

تأكد للمسلمين بعد هذه التجربة الطويلة العميقة مع الغرب أنه لا سبيل لهم لاستعادة مجدهم وبناء مجتمعهم واستئناف حضارتهم إلاّ بالعودة إلى المنابع والتماس مفهوم الإسلام الأصيل الجامع ونفض عنه كل المعوقات والأكاذيب الخادعة التي خدعهم بها جيل من الرواد غشوا أمتهم من أمثال طه حسين وعلي عبد الرزاق سعد زغلول وغيرهم الذين حاولا إقناعهم بأن أسلوب العيش الغربي هو الذي يحقق لهم امتلاك الإرادة وأن الغرب لا يريد لهم إلا أن يظلوا مورداً للخامات وسوقاً للإستهلاك دون أن يمكنهم من امتلاك التكنولوجيا أو إقامة الصناعات الثقيلة أو بناء قواعد الحضارة المادية على النمط الإسلامي الذي لا بد أن يقيموا على أساسه مجتمعهم وحضارتهم.

ولقد تبين أن الصحوة الإسلامية التي جاءت في القرن الخامس عشر إنما بدأت بتصحيح المفاهيم والتحرر من تلك الفاشية التي تمثلت في سحابة سوداء من الفكر اليوناني والفارسي والهندي الوثني الإباحي التي عمت أفق الإسلام وأنشأت تلك الجيوب من الزنادقة والملاحدة ذوي الأسماء اللامعة الذين حملوا هذه السموم وزينوها للناس وأفسدوا بها أجيالاً حتى حررهم الله تبارك وتعالى منها بظهور مجددي المفاهيم أمثال الغزالي وغيره، كذلك فقد آمن المسلمون بأن لهم أسلوب حياتهم الخاصة ومفاهيمهم الخاصة التي تتلائم مع عقيدتهم ومن الخطأ أن تقيسوا كل شيء بالنسبة لما هو سائد في الغرب أو يحكموا عليه بتلك المعايير الغربية التي لا تتناسب مع الثقافة الإسلامية ككل.

ولذلك كان لا بد من العودة أولاً إلى قاعدة أساسية فولاذية رصينة هي أن الإسلام منهج حياة ونظام مجتمع وعليها يبنى الأساس المكين.

ولقد كان تاريخ الإسلام مفعماً بالحيوية والحركة ولم يتوقف يوماً عند تصحيح نفسه، وتصحيح مفاهيم العقلانية أو الصوفية أو الفلسفية التي حاولت أن تسيطر وأن تستعلي وتمثل الإسلام فقد كان معروفاً في كل هذه المراحل من تاريخ الإسلام أن الإسلام «ليس مجرد دين أو عقيدة بالمعنى العام الشائع البسيط كما أنه ليس مجرد مجموعة من القواعد السلوكية التي تنظم حياة الإنسان والمجتمع، وإنما هو أسلوب كامل للحياة يصل تأثيره إلى كل جوانب الوجود الإنساني ويصبغها بصبغة خاصة متميزة، إنه يقود حركات الإنسان ويوجهها في كل مضارب الحياة الفردية منها والاجتماعية المادية منها والمعنوية، الأخلاقية منها والاقتصادية والقانونية والثقافية والقومية والدولية على السواء».

هكذا فهم الإسلام على حقيقته وعلى حد تعبير بعض كتاب الغرب المنصفين «فهو نسق من المعتقدات بقدر ما هو طريقة للعبادة، إنه ثقافي وحضارة معاً، إنه نظام قانوني كامل وشامل ونسق اقتصادي، وأسلوب وطريقة للعمل، إنه سياسة وأسلوب للحكم والإدارة وهو يضع قواعد تنظيم الوراثة والطلاق مثلما يضع قوانين السلوك والتصرف في الحياة اليومية، وتوجيهات للملبس والمأكل والصحة العامة، أنه دين ودولة أو دين وسياسة معاً».

كذلك فقد اعترف كثير من الباحثين الغربيين عن الدور الذي قام به الإسلام في مقاومة النفوذ الاستعماري الغربي، تمثل في تحدي السلطة وحقق كثيراً من النجاح مما يكشف عن القوة الكامنة فيه وأنه يصلح منطلقاً لتوكيد شخصية المجتمع الإسلامي وتقرير وجوده وصموده أمام التحديات الوافدة من الغرب.

والواقع أن كثيراً من المعارك بين العالم الإسلامي والدول الاستعمارية إنما تمت تحت راية الإسلام، وإن كثيراً من حركات التحرر كانت تصطبغ بصبغة إسلامية واضحة، وكان ذلك من أهم الأسباب التي أدت إلى نجاحها أو على الأقل إلى

استمرار الصراع وعدم التسليم لهذه القوى الاستعمارية وأن أطول المعارك وأشدها عنفاً وضراوة ضد القوى الأوروبية كانت تلك التي قام بها المسلمون ولم تستطع كل المحاولات التي قامت بها أوروبا للتقرب منهم أن تغريهم لتغيير موقفهم.

وقد اعترف علماء الغرب بهذا المعنى، ولكن المؤامرة على المنهج الإسلامي ما زالت قائمة ومستمرة ويمكن القول بأن الإسلام يمر بما يمكن أن يسمى عصر التحديات، هذه التحديات الصادرة من الغرب والماركسية والصهيونية وأبرزها:

١ـ نظرية العلمانية في مواجهة الشريعة.
٢ـ القومية في مواجهة الوحدة الإسلامية.
٣ـ الفلسفات المادية في مواجهة التوحيد.

ولا ريب أن استسلام المسلمين أمام هذه المفاهيم واحتجاب تطبيق الشريعة الإسلامية في المجتمع الإسلامي وتمزق وحدة المسلمين قد كانت لها نتائج خطيرة أهمها:

١ـ الهزائم التي وقعت للجيوش العربية أمام إسرائيل ١٩٤٨، ١٩٦٧ وسقوط القدس في أيدي الصهيونية (الهزيمة والنكبة والنكسة).
٢ـ الفتن والحروب الداخلية التي مزقت باكستان إلى دولتين.
٣ـ الصراع بين العرب والإيرانيين في العراق.
٤ـ فشل كل مخططات الوحدة العربية وتغلب النزعات الاقليمية الانفصالية

ويرجع هذا إلى تمزق المسلمين بين التبعية للغرب والتبعية للسوفييت وقدرة الصهيونية على التآمر من خلال مخطط احتواء للغرب والسوفييت معاً.

ولقد جرب المسلمون في معالجة أمور بناء مجتمعهم ومقاومة النفوذ الأجنبي على مناهج غربية، حين دعاهم الغرب إلى اعتناق مفهومه الليبرالي الديمقراطي، أو مفهوم القوميات الغربية، أو مفهوم الاشتراكية الماركسية، وكلها مذاهب مزقت المسلمين وأسقطت فكرتهم الإسلامية الأساسية القائمة على منهج رباني أصيل قوامه العدل الاجتماعي والشورى على نحو مختلف تماماً عن الديمقراطية والاشتراكية، وقد غابت

الروح الإسلامية وراء هذه الأيديولوجيات الوافدة وغاب منها:

أولاً: مفهوم الجهاد وروح النضال القائم على المرابطة في الثغور وإعداد القوة لإرهاب أعداء الإسلام.

ثانياً: الحفاظ على الذاتية الإسلامية، والمحافظة على ذلك التميز الواضح الذي أعطاهم الإسلام حتى لا يذوبوا في الأممية.

ومن أجل هذا لا بد من تحرير مفاهيم الإسلام على نحو أصيل إن الدعوة الإسلامية في أصالتها تؤمن بالإصلاح من نقطة الواقع القائم بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة المفهوم الإسلامي الأصيل وتصحيح العرف القائم المنحرف في مختلف مجالات الفكر والاجتماع على أن يقوم الإصلاح على أساس المنابع الإسلامية نفسها دون تأويل أو مغالاة وأن يقدر فيه حساب الزمن وتغير الظروف والأوضاع والاعتراف بأن أسلوب التربية الإسلامية هو أمضى الأساليب مع الإيمان الأكيد بأن الإسلام لم يستسلم أبداً في أي مرحلة من مراحل تاريخه أبداً لأي محاولة لتغيير طبيعته الخاصة وذاتيته الربانية، وقد مضى في إصرار يؤكد مفهومه الذي يقوم على تحريم الربا وإقامة حدود الله وعلى المحافظة على الطابع الخالص الذي لا ينصهر.

لا ريب أن هناك حرباً موجهة ضد الإسلام وغزواً متصلاً ضد المسلمين وقد صاحبت هذه التيارات تاريخنا منذ عهد قديم وجوبهت من المسلمين بروح قوية ثابتة من المقاومة ومعارضة الشبهات ودحض السموم المبثوثة، وقد اتخذ هذا الغزو في العصر الحديث لون الغزو العلمي، في محاولة تستهدف النيل من الإسلام وفي أعماق أصحاب الحملة هوى عضال يرمي إلى استئصال هذا الدين على خطة طويلة مدروسة ماكرة ماهرة، وهو يركز في إثارة الشبهات في مناهج التربية والتعليم والثقافة، وفي نفس الوقت الذي يحجب دور المسلمين في بناء هذه المناهج أساساً، وقد تنوع هذا الغزو الذي يهدف إلى تغريب المجتمع الإسلامي بتنوع المصادر والجهات المتسلطة، : غزو استعماري وماركسي وتبشيري وصهيوني وتقوم عليه مؤسسات

عديدة بعضها ظاهر الوجهة وبعضها خفي تحت أسماء براقة وثقافة لامعة، ويمتد إلى مجالات التعليم والصحافة والثقافة ويتمثل في قاعدة أساسية رسمها القرآن في عدة مواضع:

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾[1]

﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾[2]

﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾[3]

﴿إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾[4]

هذه القوى الثلاث التي تواجه الإسلام اليوم:

١ـ الماركسية: ترمي إلى ضرب القومية والعقيدة وفرض مفهوم الإلحاد في مواجهة الايمان.

٢ ـ الصهيونية: ضرب العروبة بكل ما يتصل بكيانها التاريخي والثقافي وفرض مفهوم الإباحية في مواجهة الأخلاق.

٣ـ النفوذ الأجنبي (الاستعمار) فصل الدين عن الدولة وحجب التشريع الإسلامي.

وقد صنع الاستعمار هذا التيار المناوىء للإسلام وأعطاه القدرات الضخمة والنفوذ والصوت المدوي، وسلطه على بعض واهي العزم ضعاف الإرادة أهل الشهوات وسقوط الهمة ممن ركزت في طبائعهم التبعية والخضوع ومن الأسف أن عدداً كبيراً من هؤلاء أصبحوا قادة لبلادهم في مجالات الثقافة والتوجيه فانهارت قيم كثيرة ودخلت النفوس مفاهيم مسمومة غيرت الفطرة والعرف الإسلامي الأصيل.

---

(١) سورة البقرة الآية (١٢٠).

(٢) سورة البقرة الآية (٢١٧).

(٣) سورة الكهف الآية (٢٠).

(٤) سورة آل عمران الآية (١٤٩).

ومن المحاولات الخطيرة التي تحيكها مؤامرت هذه القوى:

١ـ إثارة النعرات القومية والإقليمية وإثارة دعاوى الأقليات في مواجهة مفهوم الوحدة الإسلامية.

٢ـ طرح المفاهيم العلمانية والمادية والإباحية.

٣ـ التشكيك في العقيدة الإسلامية.

٤ـ تشويه التاريخ الإسلامي

٥ـ إحياء الفرق والنحل القديمة.

٦ـ الحيلولة دون استئناف المسلمين حياتهم على أساس الإسلام وهناك معاول تضرب في جدار الإسلام واخطار تتعرض لها عقيدة الإسلام.

(١) ـ اللغة العربية

ففي مجال اللغة العربية حملات متصلة عن طريق الاستشراق عن طريق الإقليميين المتعصبين ضد الفصحى من دعاة الفرعونية في مصر والفينقية في لبنان.

وقد وصفت اللغة العربية بأنها لغة ميتة كاللاتينية واتهمت بالعجز عن التعبير وعدم القدرة على الاستجابة للحضارة، ووصفت بأنها لغة دينية، ومن خلال هذه المحاولات يجري تشجيع تيار الشعر الجديد الذي ما زلوا ينفخون فيه في مواجهة الفصحى وعامود الشعر.

والهدف هو إخضاع اللغة العربية لمنهج وافد قام في الغرب على أساس اللغات الغربية التي قامت منذ ثلاثمائة سنة وهو منهج لا يصلح للغة ثبتها القرآن منذ أربع عشر قرناً.

(٢) ـ الشريعة الإسلامية

وقد وجهت إليها حملات مستفيضة ملؤها الحقد والكراهية لانتقاصها وتصويرها بصورة الجمود أو الصحراوية أو بدعوى أنها منقولة من القانون الروماني.

وقد اتهمت بالجمود والعجز عن تتابع الحضارات والنهضات.

(٣) ـ العقيدة

وقد وجهت محاولات لإفساد العقيدة عن طريق إثارة عدد من التيارات منها تيار باطني وتيار شعوبي في محاولات لتفسير أي نصر عسكري بأنه نصر مادي لا علاقة له بالإيمان والجهاد ولا بالآثار النفسية.

وكذلك إثارة الشبهات التي تحدث هزة في العقائد والأخلاق وأنظمة الحياة وصرف الأمة الإسلامية عن وجهتها التي سارت عليها أكثر من أربع عشر قرناً والقضاء على خصائصها ومحو آثارها وتحقير ماضيها وإفساد حاضرها.

ويحاول التغريب مهاجمة الإسلام في نظرته إلى الرق وإلى تعدد الزوجات وإلى قوامة الرجل على المرأة وزيادة نصيبه في الميراث وفي عقوباته التي يقررها في جرائم السرقة والزنا والقتل.

(٤) ـ الثقافة

وهناك محاولات الفصل بين الثقافة الحديثة والثقافة الإسلامية وإيجاد حاجز مضلل بالحملة الفرنسية، ومن ذلك تلك المحاولة الخطرة في تتبيع الثقافة العربية الحديثة إلى الفكر الغربي حاضراً وإلى الفكراليوناني قديماً ومحاولة إعلاء شأن الشعوبيين الباطنيين أمثال ابن سينا في الفلسفة وابن المقفع في الآدب وأبي نواس في الشعر والحلاج في التصوف.

(٥) ـ الصحافة

دحر الاتجاه الإسلامي الذي كانت تتميز به الصحافة منذ أصدرها علي يوسف ومصطفى كامل وعبد العزيز جاويش وفريد وجدي وردها إلى الاتجاه الغربي الشعوبي الذي أنشأه الموارنة اللبنانيون وتغذيته برافد تعريبي حمل لوائه مجموعة من كتاب التغريب أمثال طه حسين وعلي عبد الرازق وسلامة موسى وتوفيق الحكيم وحسين فوزي وزكي نجيب محمود.

(٦) ـ التعليم

واخطر ما هنالك هو تحـول مناهـج مدارس الإرسـاليات إلى مناهـج المدارس الوطنية في عهد الاحتلال واستمرار ذلك فيما بعد ودخول منهج الغربي الذي لا يقر الدين والأخلاق في مناهج التربية الحديثة في العالم الإسلامـي وإسقـاط علاقـات الاخلاق والتربية الروحية والنفسية من التعليم وقد كان من أخطر آثار النفوذ الأجنبي تربية جيل منهزم مفتون بما في أيدي الآخرين من فتات الموائد ملقياً بما يملك من ثروة وذخائر.

(٧) ـ الحضارة

اتهمت الحضارة الإسلامية بأنها حضارة غير أصيلة ، وجرى إسقاطها في مجال تطور الحضارة الإنسانية وتجاهل فترة الألف عام الإسلامية بين الحضارة الرومـانية والحضارة الحديثة وفضل المسلمين في إنشاء المنهج العلمي التجريبي الذي قامت على أساسه الحضارة المعاصرة.

(٨) ـ التاريخ

جرت محاولة تزييف التاريخ الإسلامي واتهامه ، وإثارة الشبهات حوله ومـن محاولاتهم هدمه وتفسيره تفسيراً مادياً بالقول بأن الإسلام يقوم نتيجة لصراع الطبقات أو أنه مظهر من مظاهر التطور الاقتصادي ومن أسباب عجز المستشرقين في دراسـة التاريخ الإسلامي جهلهم بالمعنى المحدود الكامل لكلمة (الدين) في لغـة القـرآن الكريـم بالمقارنة لمعنى كلمة الدين في لغاتهـم في ضوء الفلسفـة المثـالية والماركسية وتفسيرات علم الاجتماع ، وقد تلقى أكثر أبنائنا مادة التاريخ الإسلامي منذ أوائـل القرن العشرين من اساتذة يهود.

(٩) - في الأدب

حيث تقوم المناهج على أساس الأساليب الغربية الوافدة التي لا تمثل حقيقة الأدب العربي ولا تصلح للتطبيق عليه وهي ترمي إلى قطع الامتداد بين الأدب العربي والأدب الحديث فضلاً عن النماذج المقدمة في الأدب المترجم من اللغات الغربية التي يقوم على أساس مفهوم زائف مسموم، وفي النقد الأدبي تقوم على أساس أن النثر الفني في الأدب وهو الأدب وما سواه ليس أدباً وبذلك يخرج من الدراسة كل كتاب في الأصالة في الفكر الإسلامي.

* * *

تحديات ثلاث تواجه المجتمع الإسلامي على طول أرض الإسلام أعتقد أنها جوهر المهمة التي يحملها قادة الفكر الإسلامي خلال العقود الأولى من القرن الخامس عشر الهجري عليهم أن يفرغون لها الجهد والوقت والقريحة.

أولاً: تطبيق الشريعة الإسلامية التي يقوم العمل فيها على أساس القانون الوضعي والتي تطبق جزئيات من الشريعة الإسلامية.

ثانياً: بناء الاقتصاد الإسلامي بديلاً للاقتصاد الربوي الوافد الذي يقوم على أساس قاعدة امبراطورية الربا اليهودية صانعة نظام الربا والفوائد.

ثالثاً: بناء الشباب الجديد على أساس التربية الإسلامية الجامعة بين الروح والعقل والجسم من أجل دعم الأسرة وتأكيد ذاتية الشخصية الإسلامية وبناء روح الأخلاق والعقيدة وسلامة السلوك الاجتماعي.

إن التماس مفهوم الإسلام في الثقافة والفكر من شأنه أن يغير النظرة المطروحة الآن في المجتمع الإسلامي والمستمدة من المفاهيم الغربية وخاصة في مجال الاقتصاد والأدب والسياسة وفي العبارات المستعملة والأساليب وطريقة الحوار نفسه وبالنسبة أيضاً للأعلام الذين نعطي لهم التبرير بينما هم في حكم الإسلام منحرفون أو خونة.

نحن اليوم نواجه أسلوباً للتربية قدمه «ديوي» ومفهوم للنفس قدمه «فرويد» ومنهج للإجتماع قدمه «دوركايم» ومضمون للأخلاق قدمه «ليفي بريل»، وتصور

للفن قدمه فلان ومفهوم للأساطير والخرافة قدمه «فريزر»، وهذا مما يؤدي إلى تزييف مفهومه الإسلامي الحقيقي. هذه المحاولات التي تأتي صريحة في طرح هذه المذاهب الفلسفية المادية، وفي نفس الوقت تختبىء وراء دعوات يظن أنها من داخل الإسلام: كالقاديانية والبهائية وللفكر الماسوني اليهودي آثاره المطروحة في عشرات من الندوات والدعوات كالروتاري والليونز.

الباب الرابع

كيف يحطم المسلمون قيد التبعية والحصار

إن أخطر ما نخشاه على أمة ـ لها ميراث مجيد ورسالة خالدة كالأمة الإسلامية عجزت الأيام والقوى والمحاولات والمؤامرات عن القضاء عليها ـ هو استسلامها أمام المحاولات المتجددة والمستمرة وإذابتها واحتوائها والسيطرة عليها وإخضاعها لتقبل أسلوب العيش الغربي عن طريق اليأس ونفاذ الصبر والعجز عن مواصلة المقاومة والتراخي إزاء مغريات النفوس الضعيفة إزاء الشهوات والمطامع والأهواء، وما يقدم لها من مظاهر الترف والتحلل والفساد الذي تعجز أمامه النفس البشرية عن استمرار المقاومة والوقوف في وجه الخطر وهذا هو «الأمر» الذي يراود قوى التغريب والغزو الثقافي بالأمل في الوصول اليوم إلى ما عجزوا عنه منذ بدأت هذه الحملات على فكر الأمة الإسلامية وقيمها ومفاهيمها.

إن القبول بالواقع والرضا به هو أخطر ما نخشاه الأن على هذه الأجيال الهشة التي نشأت في مهاد الترف الكاذب والتي عجزت وعجز أهلها عن بنائها على الخشونة والصمود والمقاومة، والتي لم تعرف أبعاد الأخطار المحدقة بالأمة الإسلامية، والتي حاول الخصوم إشعارها بالأمن حتى تخضع وتستسلم وتصادق أعدائها وتقبل فكرهم، وترضى بالانصهار فيهم والذوبان في مفاهيمهم غير مقدرين مدى الخطر الماحق الذي يتهدد هذه الأمة جيلاً بعد جيل إذا لم تكن قادرة على حماية حصونها من الغزو، وأخطر حصونها في هذه المعركة اليوم هي عقولها وقلوبها التي فرّغها التعليم الوافد والثقافة المختلطة والصحافة والمسرح والمسلسلات والأغاني ووسائل الإضحاك من

كل قيمة حقيقية ، والذي يقوم كل ما تقدمه على وجهات نظر وافدة ومن خلال معطيات وجودية أو رأسمالية أو اشتراكية ماركسية وليس فيها حالة واحدة تقدم وجهة النظر الإسلامية ، هذه الأصيلة صاحبة الحق الأول والمبعدة عن مكانها الحق ، إننا نسمع في جميع القضايا المطروحة والمشكلات المثارة مختلف وجهات نظر الأمم جميعاً والأيديولوجيات جميعاً ما عدا وجهة النظر الإسلامية ، صاحبة الحق الأول في البيان ، وذات المنهج الرباني الأصيل ، والسابقة لكل هذه المناهج الوضعية ، والباقية بعد تفسخ هذه المناهج وعجزها واضطرابها ، والتي هي الأمل الأول والأكبر الآن في مختلف بيئات الثقافات في تقديم الحلول الحقيقية للمجتمعات الإنسانية التي تفسخت واضطربت وأصبحت عاجزة عن حل مشاكلها والتي وصلت بشهادة مفكريها وقادتها إلى الطريق المسدود .

وهذا ما يتحدث عنه علماء الغرب اليوم حين يعلنون فساد المنهجين الرأسمالي والاشتراكي وحاجة الإنسانية إلى منهج اجتماعي واقتصادي جديد ، وحين يتكشف عجز الحضارة عن العطاء الحق لأشواق النفس الإنسانية بعد أن استغلت النزعة المادية والفلسفة المادية وكيف اختفى البعد البشري عن الحضارة القائمة والمجتمع الإنساني وفي الوقت الذي ينسحب فيه علماء الغرب من الحضارة الهاوية المنهارة نجد تلك القوى المحاصرة للمجتمع الإسلامي والراغبة في احتوائه ، تعمل على فرض الفلسفات المنهارة عليه وحجب أضواء الحقيقة عنه ، والمقاومة الدائمة لكل وجهة صحيحة ، ومهاجمة كل صيحة حق أو كوة نور ، إن هناك تلك الحملات المسعورة التي تهاجم اللغة العربية وتحول بينها وبين أن تكون لغة العلوم والطب ، وتلك التي تهاجم تطبيق الشريعة وتصر على القانون الوصفي وتلك التي تهاجم عودة المرأة إلى الله والحجاب والبيت ، وتلك التي تهاجم الأصالة وحماية الذاتية الإسلامية ، وتلك التي تهاجم خصائص الإسلام في الملبس والحياة وأسلوب العيش وتلك التي تهاجم الإيمان واليقين تحت أسم التسامح والاستنارة والتي تصف الدعاة إلى الله بالتزمت والجمود والتعصب .

إن أخشى ما نخشاه هو الاستسلام أمام هذا المخطط الذي يستهدف اليوم إذابة الشخصية الإسلامية واحتوائها والقضاء على ذاتيتها ذات الطابع المتميز الخالص الذي صنعه الإسلام منذ أربعة عشر قرناً، وحمل دعوتها إلى أن تحفظ كيانها الخاص ووجودها الخالص من أن ينصهر أو يحتوى في إطار أي حضارة أو فكر تحت أي اسم خادع أو دعوة براقة، وإذا كان المسلمون قد قاوموا في الماضي إزاء زحف الفلسفات الوثنية الإغريقية والرومانية والفارسية والهندوسية والمجوسية حتى أمكن أحتوائها، فإنهم قادرون اليوم على مواجهة الفلسفات الغربية ليبرالية وماركسية واشتراكية والتغلب عليها والاستعلاء على كل محاولاتها في السيطرة والاحتواء ونحن في طريق المقاومة فلنذكر هذه الصيحات التي لم تذهب أدراج الرياح.

أن شر ما يوصف به المسلمون أن الأحداث تلهيهم عن النظر في المخطط الذي يحاول الغرب أن يضعهم في داخله، لاحتوائهم وإدامة السيطرة عليهم وأنهم يهتمون بالأحداث الواقعة المتتالية وينشغلون بإيقاعها عن النظرة الكلية الجامعة لمخطط مستمر متصل يهدف إلى أن لا يمتلك المسلمون إرادتهم وأن يبقوا دائماً في دائرة شبه مغلقة لا تمكنهم من أن يعلنوا راية الدعوة إلى الإسلام، أو إذاعته في العالم، أو اتخاذ أسلوبه الاسلامي منهجاً تطبيقياً لحياتهم، فهم يغلبون مقاييس الغرب في فهم الأمور على مقايس الإسلام ويصدرون عن خطط موضوعة دون أن يتمكنوا من كسر قيد التبعية والخضوع لمفاهيم وافدة وأخطر ذلك كله استسلامهم إزاء الزخرف الغربي الذي تقدمه الحضارة في مجال المتع والشهوات والأهواء على نحو يحطم كيانهم الإجتماعي الفردي من ناحية وكيانهم الإقتصادي العام فيفقدون قدرتهم على مواجهة الأحداث إبان الخطر من حيث أقعدتهم حياة الترف والرخاوة والأمن الواهم، ومن حيث ضياع هذه الثروات الضخمة في بؤرة المطامع الذاتية، مع أن هذه الثروات هي أداة حفظ الكيان العام وحمايته من أخطار الغزو الخارجي وضرورة بناء الأمة على المقاومة والتحدي دون الاستسلام لاستعادة ما في أيدي الأعداء من ناحية وللوقوف موقف المرابطة الدائمة على ثغور عالم الإسلام دون فتور أو تراخي أو إحساس زائف

بالأمن ولعلنا حين نذكر هذه الصيحات المتوالية التي مرت في تاريخنا الإسلامي نحس أننا موضوعون في دائرة يراد إغلاقها حتى ندور فيها جيلاً بعد جيل دون أن نجد من أنفسنا القدرة على كسر هذه القيود وتحطيمها وامتلاك إرادتنا في بناء وجودنا الخاص على النحو الذي يتمثل في منهجنا القرآني الإسلامي الرباني أنه ليبدو لنا الآن أن هذه القوى تحاصرنا حصاراً شديداً حتى نظل عاجزين عن تحطيم قيد التبعية والحصار.

فلنذكر في هذا المجال صيحة لويس التاسع بعد هزيمته في الحروب الصليبية: لنبدأ حرب الكلمة فهي وحدها القادرة على تمكيننا من هزيمة المسلمين.

لنذكر صيحة غلادستون: إنه لا يمكن السيطرة على المسلمين ما دام هذا الكتاب (القرآن) باقياً في الأرض.

لنذكر صيحة كرومر: أن الإسلام دين صحراوي وأننا لا أمل لنا إلاّ في المتفرنجين الذين يكونوا بمثابة أيد مصريه مع عقول أوروبية.

لنذكر صيحة اللورد اللنبي: اليوم انتهت الحروب الصليبية.

لنذكر صيحة: بنورمان وزير خارجية بريطانيا: لا بد من وضع جسم غريب يفصل هذه الأمة بين شطريها في آسيا وأفريقيا.

هذه صيحات انطلقت خلال هذه المعركة: معركة القضاء على الذاتية الإسلامية خلال القرون تكشف عن المؤامرة وتشير إلى الهدف الذي تبنته القوى الأجنبية على مدى العصور لاحتواء هذه الأمة وحصارها والذي وصل إلى بعض غايته بانتزاع القدس من أيدي المسلمين، والذي يحاول العمل للسيطرة على الوجود الإسلامي كله عن طريق إدخال العرب والمسلمين في دائرة الأذلال والخضوع والاستسلام بالفرقة وتضارب الوجهة

إنه لا بد من تبيين حقيقة مهمة المسلم في الأرض، إن عبادة الله تبارك وتعالى تعني أول ما تعني إقامة مجتمع إسلامي في الأرض وإقامة منهجه في الحياة وبناء الحضارة الإسلامية التي تبدأ من القرآن وتنتهي إليه وليس الإقتصار على عبادة الله

بالصلاة والصوم والزكاة والحج فحسب ، أو اعتزال الناس بحجة أن المجتمع قد فسد، إننا مطالبون بأن نقحم هذا المجتمع بمفاهيم الرحمة والعدل والإحسان والبر، هذه هي نقطة البدأ الحقيقية في بناء المجتمع الإسلامي علينا أن نكون على وعي كامل بالتحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، وأن لا نقصر نظرتنا عند القومية أو الإقليمية الضيقة، وعلينا نتعرف على مخاطر الحصار الثقافي الخطير الذي يريد أن يجرد المسلم من قدرته العريضة وحيويته الواسعة وحركته الواضحة في مجالات الاقتصاد والاجتماع والسياسة والتربية ولا بد من تربية روح النضال والمقاومة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإيقاظها في ضمير الأمة حتى تعود إلى الأصالة والمنابع والرشد الفكري وأعراف الإسلام حتى لا نقبل منهجاً وافداً من شأنه أن يقضي على كرامتها وعزتها وتجعلها تابعة وذيلاً للأممية العالمية أو الحضارة الغازية.



ـ ١ـ

توهين الإسلام
هي خطة الغزو الثقافي والتغريب

إذا سألنا لماذا يهاجم الغزو الثقافي التراث الإسلامي وينفر منه ويحاول أن يصوره بصورة القديم والبالي والرجعي والمتأخر، لا بد أن نجد وراء ذلك هدفاً خفياً، ذلك أن هذا التراث بالإضافة إلى تاريخ الإسلام من شأنه أن يبعث في نفوس شباب المسلمين الإحساس بأمتهم وعقيدتهم التي هزت العالم وفتحت الآفاق، ونشرت العدل والرحمة، وعلمت البشرية الحضارة، وأقامت مفاهيم تحرير الإنسان من الظلم وتحرير عقله من الخرافة، وأن هذا الإسلام هو الذي قضى على عصور متصلة من الوثنية والأساطير وعبادة الأصنام، وفتحت أمام البشرية طريقاً إلى ضياء الحق وإلى نور الدين.

إنهم يعملون على (توهين الإسلام) في نظر أهله حتى لايتمسكوا به وفي نظر المتطلعين إليه حتى لا يجدوا هناك أملاً ينقذ الإنسانية مما هم فيه من ظلمات. إنها ليست مهمة واحدة، ولكنها مهمة مزدوجة، فإذا كان المسلمون الآن يعودون إلى منابعهم بعد أن فقدوا الثقة في هذه الأيديولوجيات التي قدمت إليهم والتي خدعوا بها أجيالاً طويلة بمظنة أنها ستخرجهم من التخلف إلى التقدم فإذا بها تنتكس بهم انتكاسة خطيرة حتى تجعلهم على حافة الخطر الخطير وهو أنهم كادوا يفقدون ذاتيتهم ويخسرون شخصيتهم، ويصبحون صورة وهمية لا وجود حقيقي لها في عالم الواقع

إن التراث الإسلامي اليوم محبوس في دوائر الغرب ومكتباته وجامعاته والمسلمون

لا يستطيعون الاقتراب منه إلا بحذر شديد، إن هناك أكثر من ثلاثة ملايين مخطوطة محجوبة عن ا لمسلمين، بعد كل هذا الذي أحياه الباحثون من التراث خلال العقود الأخيرة منذ بدأت صيحة إحياء التراث التي قادها أحمد زكي باشا وأحمد تيمور وغيرهم والتي اتسع نطاقها شرقاً وغرباً، وبالإضافة إلى كل ما يوجد في الخزائن المغلقة في المغرب والخزائن المفتوحة في المدينة المنورة واستنانبول، هذه الملايين الثلاثة تمثل ما يأتي:

أولاً: تمثل جزءاً هاماً وخطيراً من تاريخ الفكر الإسلامي ما يزال ناقصاً ومبتوراً وأن أي تاريخ يكتب للفكر الإسلامي اليوم لا يمثل الحقيقة كاملة.

ثانياً: إن هذا الجانب الخفي من شأنه أن يضيف إذا ظهر - إضافات من شأنها أن تغلب الصورة الموجودة الآن رأساً على عقب.

ثالثاً: إن هذا الجانب الخفي قد انتفع به الغرب في نظرياته القانونية والعلمية وأبحاثه الاجتماعية والاقتصادية فهو لا يريد أن ينكشف أمام المسلمين ما حصل عليه فمع الأسف يمكن القول أن هذا التراث قد سرق ونهب، نهب حين خدعوا خدام المساجد عنه واشتراه القناصل بثمن بخس وأرسلوه إلى بلادهم فحرموا منه أهله، ونهب حين أخذت نظرياته وأقطاره فأدخلتَ في الفكر الغربي كأنها من عمل أصحابه.

ولقد تعددت الإشارات إلى ما أخذ الغرب في علومه الحديثة ونظرياته من الفكر الإسلامي، ولكن ما بقي خافياً لا يزال أعظم.

وأن هناك أحداث صغيرة تحدث فتكشف شيئاً كان خافياً، ثم يسود الصمت والظلام مرة أخرى، من ذلك ما اكتشفه الأستاذ عثمان الكعاك من إثارة (ديكارت) إلى عبارات للإمام الغزالي في كتابه (المنقذ من الضلال) المترجم إلى الفرنسية وقد كتب في الهامش (تنقل إلى بحثنا).

هذا الطبل الداوي الذي قام به طه حسين وغيره عن نظرية ديكارت في مقال عن المنهج وعن الشك قبل اليقين، التي ادعى طه حسين إنه استوردها من أوروبا لم تكن إلاّ عبارة الإمام الغزالي نقلها ديكارت وبنى عليها.

ولكن ماذا حدث بعد ذلك، حجب كتاب (المنقذ من الضلال) الذي جاءت فيه إشارة ديكارت ورفع من المكتبة حتى لا يراه بعد ذلك أحد.

هذه علامة صغيرة على أحداث كبيرة، ومن ذلك طلبات محددة لباحثين مسلمين نريد كتاب كذا وكذا، فيقال لهم، هذا ممنوع.

الحقيقة أن هناك أخطار كثيرة مازالت تحيط بالتراث هذا (أحمد بن ماجد) الذي كتب لربانية السفن كتاباً يشرح لهم فيه كيف ينزلون على شواطىء البحار والمحيطات ويدلهم على الأماكن الخطيرة وعلى العلامات..

كيف استغل الأوروبيون هذا العمل في ضرب المسلمين في موانيهم وبلادهم وإشعال النار في معاقلهم، لقد استفادوا من كتاب ابن ماجد في الوصول إلى الهند وإلى هذه المناطق وبالنصوص العربية الإسلامية قتل المسلمون وصودرت موانيهم وتجاراتهم.
وهناك مواقف أخرى كثيرة في تاريخ الصراع بين الإسلام والغرب، كان التراث عاملاً هاماً فيها، لقد أخذوا التراث وحاصروه واستفادوا منه ومنعوا المسلمين من معرفة علومهم وثمرات فكر أعلامهم.

وكان لهذا أثره على المواقف التاريخية، فإن هذه البطولات أمكن ايجاد الثغرات لها لإفساد عظمتها والتقليل من قدرها في سبيل تدمير الإحساس بالكرامة في نفس المسلم، حتى ييأس ويصاب بالغبن في أعظم ثمرات مجده القومي والوطني، هذه هي الخدعة الكبرى التي تصاحبها قول المستغربين:

لا تنظروا إلى التراث الإسلامي أو التاريخ الإسلامي لأن هذه نظرة إلى الوراء، إلى القديم البالي، إنهم يريدون أن ينتزعونا من أعظم معطيات الثقة والقوة والايمان، من ثمرات عطاء الإسلام في التراث والتاريخ.

إنه توهين الإسلام وإشاعة روح اليأس في النفس المسلمة وتشويه هذه الصفحات العظيمة الماجدة حتى يسقط الإسلام فكراً وتاريخاً في نظر أهله ويتطلعون إلى مثل أعلى عند أصحاب الحضارة الغارقة، والفكر الوثني الزائف مخدوعين بذلك البريق الخادع الذي يتمثل في الأضواء والشهوات والأوحال والسموم التي يتدافع

إليها القادمون، دون أن يتبينوا مواضع أقدامهم ولا ما يستدرجون إليه حتى تتحطم ذاتهم، وتتحطم مجتمعاتهم وأسرهم، ويعجزوا عن حماية مقدراتهم وثغورهم فيتحقق أمل العدو المتربص بهم، في السيطرة عليهم سيطرة كاملة.

إن هناك خطران يتهددان الأصالة الإسلامية والهوية المسلمة بحرمانها من الفطرة التي فطر الله الناس عليها، والوجهة التي بناها الإسلام في النفس المؤمنة:

أولاً: ما يقدمه مناهج التعليم المفرغة من الايمان بالله والعمل الخالص لوجهه وبناء المجتمع الإسلامي على الأرض، والقائمة على مفاهيم الطبيعة، والجبرية، وصراع الأجيال، والصراع الطبقي، والتفسير المادي للتاريخ والخضوع للجنس، ووصف الإنسان بالحيوانية ومحاكمة لمناهج العلم التجريبي.

ثانياً: ما تقدمه وسائل التسلية والمسارح والإذاعة المرئية والقصص والروايات والمسلسلات من مفاهيم ضالة وشبهات، وسموم، وأساطير، وخرافات، هذه المفاهيم التي تتنكر لكل قيم الإسلام الحقيقية، والتي تحقق ذلك التمزق الخطير بين الرجل والمرأة، والزوج والزوجة، والأبن والأب، والتي تجعل من الرشوة والحرام والخطف والتآمر وسائل مشروعة للثراء والغني والكسب.

إن أخطر ما هناك في مجال الثقافة والتعليم والصحافة غياب: الوجهة الإسلامية في الحياة، وتسلطوجهة استعلاء بغير الإسلام والإندفاع على طريق الوثنية المادية.

إننا في حاجة إلى بناء أجيالنا على المفهوم الإسلامي الأصيل كمنطلق لبناء المجتمع الإسلامي، وذلك في مواجهة تلك التحديات والأخطار التي تقذف بها قوى التغريب والغزو الفكري والشعوبية عن طريق الاستشراق والتبشير المتخفي وراء مفاهيم الثقافة تحت أسماء العصرية والتقدم والحداثة.

وهذه المحاولة التي تريد أن تعود بالأمة إلى الطريق الذي يقضي إلى التيه، وإلى الهوان، بينما طريق الله الحق واضحاً صريحاً تشرق أضوائه ولا تخفي أنواره.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾[1].

---

(١) سورة الأنعام الآية (١٥٣).

ـ ٢ ـ

سقوط النموذج الغربي وانهياره أمام النفس المسلمة اليوم

إن التجربة التي قضاها المسلمون مع النموذج الغربي خلال أكثر من مائة عام اليوم لا شك منتهية إلى نتيجة واضحة، وضوح الشمس، لا لبس فيها ولا غموض هي فشل هذا النموذج وعجزه عن العطاء بالرغم كل ما بذل رواد التغريب ودعاته في سبيل الدفاع عنه وتحسينه وإغراء المسلمين به كبديل لأسلوب العيش الإسلامي الأصيل تحت تأثير المرحلة التي يمر بها العالم كله من حيث يمتلك الغرب اليوم مقدرات الثروة والنفوذ والسلطان العسكري، ووقوع المسلمين تحت سيطرته، وهي مرحلة عابرة ومرحلة مؤقتة، وهي من طبيعة دورات الحياة ، لا يمكن أن يكون مرورها بالمسلمين عاملاً على إخراجهم من قيمهم ومقدراتهم وأسلوب عيشهم الأصيل الذي بنى به الإسلام نفوسهم وعقولهم أربعة عشر قرناً.

لقد قامت سيطرة الغرب على المسلمين على أساس الغش والخديعة، والتآمر وسرقة التراث، ومحاولة استغلال الظروف ، وكسب بعض ضعاف النفوس بالولاء واصطناع أساليب الإغراء سواء بالمادة أو المرأة أو الشهرة ذلك الأسلوب الذي كشفت عنه مخططات بروتوكولات صهيون وكثير من وثائق التآمر التي عقدها ملوك وأمراء وقسس وأحبار ورجال غامضون متآمرون. إنها قامت على الافتراء والخداع ولم تقم على حق واضح فالحضارة الإسلامية هي مصدر هذا النماء العربي وهذا الثراء ثم هناك المؤامرة وإنكار الفضل والجميل والادعاء بأنها من صنع أيديهم، ثم هي في الرجعة محاولة أن لا تصحو هذه الأمة التي أعطت مرة أخرى ولا تمتلك إرادتها، إنهم يجرون ضد تيار الحياة وسنن الوجود، وطبائع الأمم، ودورات الحضارات.

إنهم يعلمون دورنا الحقيقي في بناء هذه الحضارة، ويعلمون أن القيم الأساسية التي قام عليها هذا الصرح الضخم من عظمة الإسلام لا يمكن أن يسقطمهما حاولوا بمعاولهم النيل من أسسه وقواعده، ويعلمون أن لنا عودة.

وأن البشرية كلها تنتظر الإسلام بلسماً لجراحها وعلاجها لأزماتها، وقد درسوا ذلك دراسة واسعة وكشفت لهم الأبحاث أن حضارتهم دخلت دور الأنهيار والسقوط، على نفس الأسلوب الذي سقطت به من قبل الحضارة الرومانية وكتب ذلك كتّابهم وكشف عن ذلك منذ وقت بعيد أمثال «شبنجلر» وغيره ولكنهم يتآمرون ليأخروا دور هذه الأمة في إعادة هذا العالم ـ المادي الغارق في أهوائه ومطامعه وإباحياته وبشكوكه ـ إلى الله تبارك وتعالى.

وهم من أجل ذلك يعملون في ميدانين بالغش والخديعة:

أولاً: في أفق الإسلام بإثارة تلك القمامات السوداء من الشكوك والسموم والريبة لتحطيم الثقة في نفوس المسلمين أنفسهم من ناحية عظمة دينهم وقدرته على العطاء.

ثانياً: في أفق الغرب بالتشكيك في كتابات هذه الصفوة التي هداها ربها إلى الإسلام وذلك بمحاولة استغلال تصريحات من المسلمين تخدعهم عن حقيقة الفوارق بين الإسلام والأديان الأخرى تحت عنوان عريض هو (الحوار) أو الالتقاء بين الإسلام والغرب.

إن علينا ان نواجه هذه المؤامرة الخطيرة ونكشف فسادها وزيغها، إننا يجب أن نتكتل في طريق واحد هو: ألا نذوب في حضارة الغرب البالية الغارقة.

لقد كانت من أخطر محاولات النفوذ الأجنبي العمل على قهر الشخصية الإسلامية وفسخ الهوية الحضارية للأمة بمحاولة تغريبها وسلخها من مفاهيمها الحقيقية وانتزاعها من الإسلام، وقد حاربت الأقطار الإسلامية دفاعاً عن ذاتيتهم الحضارية وهويتهم القومية بكل ما أتاحت لهم ظروفهم الصعبة من أسلحة وإمكانيات.

وقد اعتصم المسلمون في كل قطر من الأقطار، بالمفهوم الإسلامي الأصيل وهم يرون قصور المعطيات في مجال التعليم والثقافة في إعطائهم القدرة على المقاومة الحقيقية فإن مناهج الاستشراق والتبشير قد نفذت إلى مختلف دراساتنا ومعاهدنا ومناهجنا تحت أسماء علمية ونظريات فكرية، تخالف وتعارض مفاهيم الإسلام وتحاول أن تقدم لنا أسلوباً مادياً خالصاً للنظرة إلى الحياة والأشياء وهي غير نظرتنا الإسلامية الحقيقية التي قدمها لنا المنهج الإسلامي.

إن محاولة تأخير قدرتنا على امتلاك إرادتنا هي من وراء كل المخططات التي تجري اليوم على الساحة تحت أسماء كثيرة أبرزها العصرية والتقدم والحداثة تريد احتوائنا في إطار هذه الحضارة الغازية المنهارة.

إن ما تقدمه لنا أدوات التسلية والترفيه من مسرحيات ومسلسلات وأغاني تمثل قدراً كبيراً من الدعوة إلى إشاعة الفحش والقبح والشذوذ، في محاولة لجعل هذه الأشياء أموراً عادية، هناك موسيقى «البوب والجاز» ورقصات «الجرك والروك أند رول»، كل هذا يراد به اختطاف ألباب شبابنا ودفعه إلى دائرة الأهواء والإباحيات حتى يتحطم وجوده ويقضي على ذاتيته فيصبح عبداً هذه الحضارة ولأهلها وخادماً لها وبائعاً لأمته.

وأخطر من هذا تلك الفلسفات التي تصاحب هذه الدعوات: وهي فلسفة الحرية والانطلاق والادعاء بأن المسؤولية تقع على المجتمعات لا الأفراد، وأن الأخلاق نسبية وأن التطور غلاب، كل هذا يراد به القضاء على مفهوم أصيل في عقيدتنا وفكرنا الإسلامي وهو (ثبات القيم الأساسية) في وجه المتغيرات، إنه ما يعني حدود الله تبارك وتعالى القائمة بالحق إلى يوم الدين والتزامنا الأخلاقي ومسؤوليتنا الفردية وفهمنا الصحيح لمهمة المسلم في هذا الكون وهو إقامة المجتمع الاسلامي.

وهم يذيعون فينا من ناحية أخرى الفلسفة المادية بمفهومها الفاسد القائم مع ما يسمونه الصدفة العمياء، حيث لا صدفة في هذا الكون مطلقاً ولكن هناك قصد وغاية (وكل شيء عنده بمقدار) ودعوتهم إلى الطبيعة حيث أن الصانع في الحقيقة هو

الله تبارك وتعالى، وإنكارهم للمصادر المعنوية للمعرفة واعترافهم بمصدر واحد هو الحس، وبذلك يحجبون الوحي والنبوة ورسالات الأنبياء التي جاءت تهدي الإنسان إلى الحق وترده عن الحيرة والشكوك والأساطير، هذا الدين الحق الذي قدم للإنسان صور عن عالم الغيب، في حاضره وفي مستقبله، في حياته وبعد موته، وبعد بعثه ونشوره.

هذان هما الخطرين الكبيرين: تطويق العقل الإنساني بالفلسفة المادية وتحطيم الكيان الإنساني بالشهوات المادية.

والمطمح واضح من هذا كله وهو تهديم صرح هذه اليقظة الإسلامية العارمة التي تتطلع الآن إلى فجر جديد وحضارة جديدة ومجتمع إسلامي أصيل.

إن العالم كله الآن يتطلع إلى أضواء الفجر الجديد ولكن تلك القوى تعتمد إلى سد المنافذ أمام الحق ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِم وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾[1].

إن ضوء الحق، لا تسطيع القوى المادية مهما بلغت أن تحجبه، إنه يسري اليوم في القلوب والعقول حثيثاً، ويهز تلك المسلمات الباطلة الكاذبة التي طالما صنعوها ورددوها.

لقد تبين لأهل الغرب أنفسهم تلك الأزمة الخطيرة التي حاقت بالمجتمع الغربي والأسرة والمرأة، نتيجة للفساد والانحلال، واختلاط الرجال والنساء بلا رقيب ولا ضابط ومرافقة المرأة للرجل وخروجها سافرة عارية باسم تحرير المرأة، وكيف أن ذلك كله لم يزد على أنه «مؤامرة» أريد بها تحطيم الأجيال القادمة، وقد نجح أولئك إلى جر المرأة إلى هاوية الهبوط.

وها هي اليوم تستعلن في الغرب صيحة (عودي إلى البيت)، وتسمع كلمة حق (ألقمي ثديك لطفلك).

---

(١) سورة الصف الآية (٨).

فهل فهم أهلنا المخدوعين بتحـرير المرأة هذه التجربـة المريرة ، أم لا يزالـون يكابرون ، لقد عادت المرأة الغربية إلى الحق فهل تعود المرأة في الشرق ولو تقليد أو تبعية ، كما فعلت في السابق .

لقد تبين لأهل الغرب أنفسهم فساد مناهجهم وأيديولوجياتهم وهم ينادون اليوم بمنهج جديد للاجتماع والاقتصاد ، فهـل فهـم أهلنـا المخدوعـين بالأيديولـوجيات الغربية المتعلقين بها أن ذلك الذي أنكروه ووصفوه بالجمود والتخلف هو الآن مطمح العقول والقلوب ، إنه الإسلام

ـ ٣ ـ

وما زالوا يخدعوننا بإحياء الفكر الباطني والوثني

لقد عرف الغرب أن الحصن الحصين في حياة الأمة الإسلامية، وجودها وقيامها وبنائها واستمرارها هو «الإسلام» بمفهومه الجامع: منهج حياة ونظام مجتمع، القائم على التوحيد الخالص الذي لا تشوبه شائبة وبمفهوم رسالة الإنسان في الأرض لبناء المجتمع الإسلامي ومسؤوليته الفردية والتزامه الأخلاقي وإيمانه بالبعث والجزاء، وعقيدته الجامعة التي تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والتي تؤمن بأن الأمور كلها بيد الله، وأنه خالق كل شيء، ومدبر كل شيء.

هذا هو المعنى الذي عرفوا أنه مصدر الصمود والتماسك والقوة والاستمرار، والذي عمدوا إليه بمختلف الوسائل لتدميره وتحطيمه وإزالته، فكانت تلك المؤامرات التي قام بها الاستشراق والتبشير والتغريب لإحياء الشعوبية القديمة والفكر الفلسفي القديم، الوثني المادي، شرقية الغنوصي، وغربية الإغريقي في سبيل إثارة الشهوات والمحرمات ودفع البشرية إلى الإباحية والجريمة والجنس حتى تصبح هذه الأجيال المسلمة مدمرة محطمة، ضعيفة عن مواجهة القوى الكبرى، وغير قادرة على حماية أنفسها وحماية وجودها وكيانها وحماية تلك الأمانة التي أوكلها الحق تبارك وتعالى إليها.

ولما كان الحفاظ على الذاتية الإسلامية، والهوية الإسلامية، هو أكبر التحديات التي واجهها المسلمون على مدى تاريخهم كله، فقد كان من الضروري أن تجري ضرب هذه الذاتية حتى تفقد جذورها، فتسقط وتهوي، ضربوها بالعنصرية، وبالفرعونية، والفينقية، وضربوها بالإقليمية وإعلاء التاريخ السابق للإسلام،

وضربوها بتزيين أن العروبة أقدم من الإسلام، وأن الإسلام فرع منها ونسوا أن الإسلام هو دين الله منذ خلق السموات والأرض وأنه دين آدم ونوحاً، وأن إبراهيم عليه السلام أبي الأنبياء كان حنيفاً مسلماً وأن الإسلام جاء مكملاً لهذه الحلقة ومصححاً لها بعد أن أنحرفت بها اليهودية والنصرانية.

ونجد الآن كلاماً كثيراً عن ما يسمونه الدورة الإنسانية، وعودة الإنسان إلى الحياة الدنيا مرة أخرى، وهي ذات الفكرة القديمة (التناسخ) التي عرفتها الهندوكية يحاولون تجديدها تحت اسم جديد، . . ونسوا أن القرآن الكريم كان قاطعاً في هذا الأمر وأن الرجعة لم تقع لأحد ولن تقع.

ولا ريب أن هناك محاولات إغراء الذين لم يكتمل مفهومهم الجامع للإسلام، حيث يخدعونهم بما يسمونه الرجعة وأن الروح تحل في جسم آخر بعد الموت، وأصحاب هذه الدعوة ينكرون الحشر وينكرون التوحيد الخالص.

وهناك التأويل الباطني في تفسير القرآن وقد توالت الحركات الباطنية التي عمدت إلى التحريف في تاريخ الإسلام هادفة إلى إظهار عقائدها وأهدافها الحقيقية مسربلة بمبدأ التأويل الباطني للقرآن متجاهلة الضوابط النقلية والعقلية والأصولية التي أجمع بها المفسرون والأصوليون في تفسير الآيات القرآنية، وكانوا دائماً يحذرون من إسباغ المعاني الباطنية على النص القرآني وقد وضع أساس الباطنية جماعة من اليهود والمجوس والمزوكية وشرذمة من الوثنيين الملحدين وطائفة من ملاحدة الفلسفة المتقدمين.

وهناك محاولة تجديد هذا الفكر بإعادة طبع آثارهم ومنها كتب الحلاج ورسائل إخوان الصفا، وكلها ترمي إلى إذاعة مفاهيم مضللة مخالفة تمام المخالفة لمفهوم التوحيد الخالص: مثل وحدة الوجود والحلول والإتحاد.

وقد خدعت رسائل إخوان الصفا بعض الذين لا يعرفون أبعاد المؤامرة الباطنية

القديمة التي قضى عليها علماء المسلمين والتي يبعثها من جديد شياطين الاستشراق وأتباعهم من أمثال طه حسين وغيره.

ولا ريب أن إخوان الصفا هم صفوة الفكر القرمطي في دور الستر وكانوا موزعين على البلاد الإسلامية، قال عنها الباحثون إنها جمعية أخوة قرمطية تأسست في البصرة لنشر المبادىء الإسماعيلية والعمل على تطبيقها بطرق هي غاية في اللطف قال المسعودي، أن مقر جماعة إخوان الصفا هو مقر الحكومة القرمطية أينما وجدت وأنهم قد خدعوا الناس باتخاذهم إسم البيت غطاء وستراً، ويرى البعض أن الفرق البكطاشية والحلولية والبابية والبهائية هي فروع من القرمطية متأثرة بتلك الوسائل، وقد أحيا المستشرقون هذه الرسائل ودعوا أتباعهم من التغربيين في اتخاذها مراجع.

ولقد حاولت قوى الاستشراق أن تعيد إحياء هذا الفكر الوثني بأساليب كثيرة منها ما قام به ماسنيون من دراسة لآثار الحلاج استمرت أربعين سنة جمع فيها مؤلفاً ضخماً عنه، ومنها إحياء (رسائل إخوان الصفا) وتجنيد كتّاب التغريب لتزكيتها والدفاع عنها ومنها أسلوب آخر أشد مكراً وإثماً وهو إعادة تصوير هذه الشخصيات في مسرحيات شعرية حديثة، ومن ذلك ما عمل صلاح عبد الصبور في مسرحية مأساة الحلاج.

وتعد مسرحية صلاح عبد الصبور عن الحلاج خلاصة ما كتبه ماسونيون وهي إعادة للصلب والتثليب النصراني بصورة أخرى، وبمحاولة إحياء شخصية المسيح الذي رسمته أكاذيب بولس مصلوباً في شخصية الحلاج، افتداء البشرية باحتمال آلامها.

وقد قرأ صلاح عبد الصبور (دواوين المارقين من شعراء وحدة الوجود والحلول أمثال الحلاج والشبلي وظهرت آثار قراءاته في ديواوينه الأخيرة التي تضمنت كلمات لم يعرفها الشعر العربي في تاريخه كله وهي كلمات النصرانية ومصطلحاتها مما حدا بلويس عوض إلى منحه إمارة الشعر تكريماً له على هذا الإضلال، ولم تكن فكرة الصلب التي أعلاها صلاح عبد الصبور في مسرحية الحلاج، جديدة، فهي دائمة الظهور في شعره هذا فضلاً عن بروز البحث اللغوي المتأثر بأسلوب التوراة المحرَّفة

في شعره والتضمين للألفاظ والجمل والسرد المتأثر بالإنجيل المحرَّف وقد سمى أحد دواوينه (أقول لكم) إشارة إلى قول المعلم إلى حواريه على حد تعبير الأستاذ عز الدين المدني.

وقد تابع هذا الشاعر السوري: ابن خليل مردم في مسرحياته الشعرية عن هؤلاء الشعراء المارقين على الإسلام.

ويتصل بهذا ما يحاول بعض الكتاب بإحياء هذه الفرق (البابكية) والخرمية والزنج والقرامطة ووصفهم بأنهم طلاب عدل وأصحاب ثورة، كل هذا إنما يرمي إلى إحياء هذا التاريخ الشعوبي الفاسد، ومن ذلك حديثهم عن المأمون الذي كان يفسح في مجالسه للمجادلات التي تعطي خصوم الإسلام حرية الرأي في السخرية من الإسلام وإعلاء النصرانية تحت اسم حرية الرأي، ثم ما كان من موقفه الخطير في فتة خلق القرآن وتسلط بعض خصوم الإسلام، هذه المحنة التي استطارت في بغداد وانتشرت أخبارها في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، ووقف منها الإمام أحمد بن حنبل موقف الصمود في كلمته.

(القرآن كلام الله غير محكوم)

وهكذا نجد الشعوبيون ودعاة التعريب يعيدون إثارة هذه القضايا بعد أن حكم فيها، وينشرون هذه الصفحات مرة أخرى، ونجد هيئات التبشير والاستشراق تتعاون مع الهيئات الرسمية على إحياء هذا التراث المسموم رغبة في صرف الناس عن الحق وعن الصراط المستقيم ودون أن يكشف للناس حقائق هذه الأعمال أو موقفها من الحركة الفكرية الإسلامية ومن ذلك ما يرددونه عن (اخناتون) وعن أنه كان موحداً، وهو تغيير خادع ومضلل فإن اخناتون وجد العبادة للأصنام في شيء واحد هو الشمس وأنه أنكر الأوثان الأخرى التي عرفها قومه، لقد نقل الناس من عبادة أتون إلى عبادة آمون ولكن القضية كلها كانت تقول بألوهية الشمس، فكيف يقال عن هذا إنه توحيد.

هكذا يجري العمل على تدمير الذاتية الإسلامية بوسائل كثيرة أخطرها ما جرى الاستشراق على إدخاله من مفاهيم خطيرة لتزييف الحقائق الإسلامية.

— ٤ —

الإستشراق يزيف حقائق الإسلام ويفرض مفاهيم مسمومة لتوهين الإسلام

لقد عمد الاستشراق وواجهته التبشير بطرح عشرات من الشبهات في مختلف مجالات الفكر الإسلامي في محاولة خطيرة ماكرة ترمي إلى تغيير مفهوم الإسلام الأصيل، وتزييف قيمه الأساسية وإثارة الشبهات، عملت هذه الشبهات في مختلف مجالات الفكر الإسلامي، في التاريخ والفقه والأدب والاقتصاد والسياسة والاجتماع والتربية، منها جوانب الإخفاء وجوانب التزييف، ذلك أن هناك إنكار كامل بأن للفكر الإسلامي فضل على الحضارة والفكر العالمي المعاصر، خداع شديد ومؤامرة الصمت، وادعاءات باطلة بأن العرب والمسلمين هم الذين أخذوا من الفكر اليوناني، وتمحلات في القول بأن الاعتزال أبرز مظاهر الإسلام لأن المعتزلة اعتمدوا قليلاً على الفكر اليوناني، دعوى أن التصوف الفلسفي من الإسلام والعمل على إحياء الحلاج والسهروردي وابن سبعين ودعوة شبابنا إلى دراستهم والكتابة عنهم ، إعلاء بشأن أبي نواس وبشار وغيرهم من شعراء التحلل والجنس، إعلاء لكتب زائفة لا تصلح مرجعاً كألف ليلة والأغاني ورسائل إخوان الصفا وكل كتاب عقيم، مبتور الأصل، لقيط، ولم يتوقفوا عند هذا بل تدخلوا في صميم القضايا لإفسادها وتشويهها، بل أن بعض المستشرقين ذهب يجمع سطور منثورة في عشرات الكتب يدعي أنها كتاب (كذا) حيث لا يوجد هذا الكتاب حقيقة ولكنهم يريدون أن يذيعوا مضمونه الزائف لتكذيب الحقائق وإفساد أصالة البحث.

ومن أمثال تداخلاتهم الخطيرة ما قام به مرجليوت في إفساد علاقة الخلافة بنظام

الحكم في الإسلام للإدعاء بأن الإسلام دين وحكم، على النحو الذي نقله عنه الشيخ مصطفى عبد الرازق في كتابه (الإسلام وأصول الحكم). وليس أخطر مما قام به فرجليوت أيضاً من إفساد علاقة القرآن بالشعر الجاهلي مع النحو الذي نقله عنه الدكتور طه حسين في دعواه العريضة «انتحال الشعر» ونحن نعرف أن الشعر الجاهلي كان مرجعاً للباحثين في عشرات من مواضع الإعجاز في القرآن الكريم باعتبار أن الحق تبارك وتعالى أنزل القرآن الكريم بلغة العرب وفي أسلوب معجز بشقيه الكلامي والبلاغي ولقد جاء ذلك في عبارة عبد الله بن عباس في قوله: إذا تعاجم شيء من القرآن فانظروا في الشعر العربي.

ومن هنا كان منطلق العناية بدراسة هذا الشعر والكشف عن خصائصه والاستعانة به للاسترشاد في فهم معاني القرآن ومقاصده، ومن هنا جاءت الضربة الاستشراقية الخطيرة حين يعلن فرجليوت بأن الشعر الجاهلي منتحل وأنه شعر موضوع وضع بعد الإسلام، وفي هذا الادعاء مافيه من المكر والكذب والخداع، في محاولة للتشكيك في إعجاز القرآن وذلك للقضاء على شاهد إثبات على محاذاة أساليب العرب لأنماط التعبير القرآني، وزعزعة لمنزلة الشعر الجاهلي في شأن إعجاز القرآن كان يهدف في دعواه إلى إنكار فضل القرآن على العرب وعلى العالم بأسره وبالتالي النيل من مكانته العربية التي حملت أسرار الإعجاز، وهذا هو الخط الذي سار عليه طه حسين في دعواه العريضة التي بثها في كتابته في الشعر الجاهلي وفي الأدب الجاهلي ولقد أثبتت الأبحاث المنصفة خلال هذه الدعوى بهوانة الشعر الجاهلي ليست شعراً مصنوعاً وضع على مثال القرآن كما يزعم مرجليوت.

أرأيت إلى أي حد تصل محاولات الاستشراق وتداخلاتهم في الفكر الإسلامي وإثارة الشبهات في قواعد هامة من قواعده.

فإذا ذهبنا أبعد من هذا رأينا جولد زيهر المستشرق اليهودي أيضاً في محاولاته التشكيك في تدوين السنة وتزييف بعض النصوص في محاولات متصلة لاتهام الصحابي الجليل أبو هريرة، ومن التابعين الإمام الزهري.

وهناك محاولات المستشرق شاحت في تزييف مفهوم الشريعة الإسلامية والادعاء بأنها قامت على العرف البدوي الذي كان سائداً قبل الإسلام.

ويجري كل هذا على نحو من الخداع والمكر، الذي ربما لا يفطن إليه الكثيرون ولكنه يتسلل إلى مناهجنا ودراساتنا ويعجب به بعض الذين لا يعرفون أبعاد المسائل والأمور.

فالاستشراق ليس علماً بأي مقياس علمي وإنما هو عبارة عن أيديولوجية خاصة يراد من خلالها ترويج تصورات معينة عن الإسلام بصرف النظر عما إذا كانت هذه التصورات قائمة على حقائق أو مرتكزة على أوهام وافتراضات، فالدارس لأعمال المستشرقين لا يحتاج إلى بذل جهد كبير ليرى تعمدهم تزييف الحقائق، واللجوء إلى منطق فاسد للوصول إلى نتائج تهدف في النهاية إلى رسم صورة مشوهة سقيمة عن الإسلام في نظر القراء الغربيين وإلى زلزلة عقيدة الإسلام وتمييعها في عين أبنائها من المسلمين.

وبالرغم من دعواهم العريضة اليوم بأنهم يختلفون عن منهج المستشرقين السابقين فإنهم إنما يفعلون ذلك ليستعيدوا ثقة الناس بهم مرة أخرى بعد أن فقدوها. إن هناك ثلاث عوامل تفسر كتابات الإستشراق:

أولاً: الوجدان النصراني وأحقاده، وتلك قضية قديمة ممتدة، فضلاً عن اختلاف المفاهيم وخاصة في أهم القضايا، مسألة الألوهية والنبوة، ومسائل الصلب والخطيئة والتثليث.

ثانياً: طبيعة الاستعلاء الغربي على الأمم نتيجة ما يسمى الجنس الأبيض صانع الحضارات وما يتبع ذلك من انتفاض الأمم الأخرى والادعاء بأنها لا تاريخ لها ولا حضارة.

ثالثاً: العجز عن الاستيعاب وجهل البيان العربي والبلاغة.

ولهذا أثره البالغ في عدم القدرة على فهم النصوص العربية فإذا أضفنا إلى ذلك سوء النية وجدنا أن هناك محاولة مركزة مقصودة لاختراق الفكر الإسلامي وتغيير طبيعته.

إن الاستشراق يحب في الفكر الإسلامي بعض العناصر والأسماء ويكره عناصر أخرى وأسماء أخرى، وما يكرهه هو الأصيل وما يتجاهله من الأعلام هم أصحاب الأقلام الكريمة الذين هاجموا التبعية للفكر اليوناني والشعوبية، إنهم يحبون الاعتزال والتصوف الفلسفي والشعر الإباحي ويكرمون أبو نواس وبشار والحلاج ويكرهون الغزالي وغيره.

ويتحدث الدكتور هشام أبو عميرة عن تجربة شخصية مع المستشرق ريجس بلاشير تكشف عن مدى المؤامرة التي يخطط لها هؤلاء القوم في سبيل محاصرة الفكر الإسلامي واحتوائه يقول: إني عندما وصلت إلى فرنسا للإعداد للدكتوراه وُجهت إلى بلاشير فقال لي في أول مرة: إني أعلم أنك تعلمت في جامع الزيتونة ثم درست في جامعة شرقية، هناك يحشوا رؤوسكم بكلام تسمونه معلوماً فعليك أن تنسى كل ذلك وأن تبدأ من جديد تتعلم شيئاً لم تعرفه قبلاً ونسميه نحن «المنهجية» وهكذا أرى منذ البدء أنني أمام مظهر أساسي من مظاهر الاستلاب وهو التشكيك في مكتباتنا ومؤسساتنا الخاصة، ومن الأكيد أن بلاشير لم يكن يوجه إليَّ مثل هذا الخطاب لو كنت متخرجاً من ثانوية كارنو أو المعهد الصادقي، ولكن تخرجي من مؤسسات أخرى خارجة بشكل ما عن القنوات الغربية للتكوين هو الذي جعله يتوجه إليَّ بمثل هذا الخطاب التدميري. ومثل هذا الحكم لا تزال تروجه في تونس حتى اليوم عن خريجي الجامعات الشرقية أو المتعلمين في جامع الزيتونة الذين يحملون «خطيئة» لا يمحوها الغفران ولا ينسخها أو يرفعها الترفيع أو التسوية. هذا التدمير للذاتية والخصوصية يصاحبه اقتراح مجموعة من البدائل أهمها:

أولاً: ترويج فكرة محددة عن التقدم مختصرة في الجانب المادي، فنحن متخلفون لأننا لم نستطع امتلاك التقنيات الحديثة وبما أننا موضوعياً لا نستطيع اللحاق بالركب

التقني والعلمي المتسارع فإننا سنبقى في وضع تبعية استهلاكية لمنتجات التقنية الحديثة.

ثانياً: تحديد الإطار المرجعي في الغرب وحده على أثر النموذج الحضاري الذي يجب التوجه إليه والاستلهام منه، هذا الإطار هو الحلقة الذهنية الأساسية السائدة لدى البرجوازية الوطنية، وذلك لردع الطاقات العربية عن البحث عن إطار مرجعي خصوصي وبقائها في فلك التبعية الحضارية.

ثالثاً: تجديد الهوية العربية على أساس انقصا هي في قطبين:

الأول: خصوصية عربية أو عربية إسلامية مرتبطة بالتراث أي الماضي.

والثاني: تشوق إلى مستقبل عصري (معاصرة) أي غربي

وهكذا تكريس لحيرة دائمة بين موروث مجمد وواقع نافر عنه وتيه في نظام من القيم المتناقضة.

رابعاً: نجح الاستشراق في ترويج لائحة من الأقطار المسبقية أصبحت فيما بعد جزءاً من الثقافة العامة أي من المسلمات المتداولة.

وتصور الدكتورة بنت الشاطىء عمل الاستشراق في هذه الصورة الدقيقة: «اتخذوا من التراث ثغرات ينفذون منها إلى عقولنا ونفوسنا رجاء أن يشوهوا في عيوننا صورة أمسنا ويطفئون نوراً لنا أضاء للبشرية طريقها وسط الظلمات وحتى نقنع أخبرنا بأن بقائنا في عالم اليوم رهن بتنكرنا لشرقيتنا وعروبتنا وتعليقنا بركاب رسل الحضارة وسادة العصر وإذ ذاك يهون علينا أن نراهم يستبيحون حمانا ويقومون أوصياء علينا ويأخذون بأيدينا نحو التمدن».

فإذا أضفنا إلى الاستشراق ما تقوم به مؤسسة اليونسكو بدت الصورة أكثر وضوحاً، أن اليونسكو (المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم) تصدر مجلداً ضخماً عن الإسلام تقول فيه ما يلي بالنص:

١ ـ إن الإسلام احتفظ في ركن الكعبة بالوثن المهم لأهل مكة وهو الحجر الأسود.
٢ـ الإسلام كان توفيقاً بين نظريات مسيحية ويهودية ووثنية.
٣ـ إن القرآن مؤلف تأليفاً بشرياً وإنه ذو مراتب مختلفة في نسقه وفي طريقة تعبيره.

وهكذا جمع اليونسكو مختلف مفتريات الاستشراق ليضمها في كتاب عالمي عن الإسلام. ولكن هل توقف الأمر عند هذا الحد، هناك مؤامرة تدمير التاريخ الإسلامي.

— ٥ —

المؤامرة على التاريخ الإسلامي

لم تتوقف مؤامرة توهين الإسلام عن العمل في مختلف المجالات وكان مجال التاريخ الإسلامي من أبرزها، ولا ريب أن تزييف التاريخ الإسلامي له أثره البعيد في هدم مقومات الايمان بالإسلام والأمة الإسلامية في نضالها الطويل في وجه الباطل وفي فتوحها الواسعة العريضة في سبيل إذاعة كلمة الله.

ومن هنا جاءت تلك المؤامرات على كتابة التاريخ الإسلامي بأسلوب غربي مفرغ من المعنويات الحقة التي صنعت هذا التاريخ وأعطته حيويته مع إخضاعه للمنهج الجبري أو التفسير المادي الذي لا يستطيع أن يكشف عظمة هذا التاريخ بل الذي يطمس حقيقته، ومن ثم سلطوا عليه عوامل مختلفة أخضعوه لها فهو مرة خروج من الجزيرة العربية من أجل الجوع وبحث عن الطعام، وهو مرة أخرى طمعاً في المغنم ومتاع الدنيا الزائل.

وارتفعت أصوات مستشرقيهم وكتابهم التغربيين بالسخرية من تاريخ الإسلام والغض من شأنه والدعوة إلى الاغضاء عن صور الماضي البالي والقديم الضائع، وأحدثوا من الأساليب ما أوغروا الصدور نحو هذه الصفحات المشرقة وحاولوا تحطيم روح الثقة والاعزاز في صدور شبابنا بأمجاد أمتهم، وإثارة روح من اليأس والقنوط والازدراء، وهذا هو الهدف الحقيقي من وراء تزيف التاريخ الإسلامي والتشكيك فيه وإثارة الشبهات حوله وكانت الحملة على التاريخ الإسلامي جزءاً من الحملة على الإسلام وتراثه وقرآنه ولغته وقد امتدت إلى سيرة الرسول ﷺ فتناولته بكثير من التزييف والمغالطة فرأينا عشرات من الكتب التي كتبها المستشرقون تتناول

الرسول ﷺ بشيء غير قليل من التعصب والحقد والخصومة، بالرغم من الدعاوي العريضة التي يضفونها على اسلوب البحث العلمي فقد خضعوا للأهواء والظنون، وعجزوا عن الإنصاف من النفس وما كان ذلك عملهم فإن الاستشراق كان في هدفه الحقيقي إفساد الصورة المشرقة الحية للإسلام وبطولاته وأمجاده في نفوس أهله، وفي نفوس المتطلعين إلى الأمل في دوره المحتوم في إسعاد البشرية.

وكان من دعواهم إذا عرضوا لصفحات من انحدار الدول الإسلامية أو هزائمها قولهم أن الإسلام هو الذي كان مصدر ضعف المسلمين أو تأخرهم في مغالطة واضحة لا تفرق بين منهج الإسلام نفسه ذلك المنهج الرباني، وبين التطبيق البشري البشري الذي يقع فيه الصواب والخطأ.

كما وقع التاريخ الإسلامي - كما يقول المستشار سالم بهنساوي - ضحية مؤامرات كبرى استهدفت الافتراء على أصول الإسلام وإلباس الباطل ثوب الحق والطعن في رجال الإسلام وقادته وإضعاف عقائد المسلمين لإثبات أن الإسلام كان قولاً لا عملاً، ولم المسلمين لم يثبتوا على دينهم إلا فترات قليلة من تاريخهم الأول، ثم ضلوا السبيل وركبوا موجة الأهواء كغيرهم من أصحاب الملل والنحل.

ومن هذا، تلك المؤامرات التي امتدت إلى تغيير بعض أحداث التاريخ الإسلامي ليلائم الفلسفة الأوروبية، ثم امتدت المؤامرات إلى تطويع مفاهيم القرآن والسنة لتساير المذهب الماركسي في تفسيره المادي للتاريخ، وكأن الرواد الأوائل في ذلك بعض صبيان الرأسمالية الغربية ثم أتباع الماركسية».

فقد تجاسر أفراد للعمل على إخضاع الإسلام وقيمه للفكر الماركسي فادعوا أن النبي ﷺ هو مؤسسي اليسار ومشرع مبادئه، وأن أصحابه كانوا موزعين بين اليمين واليسار» ولقد خدعت هذه الدعوات المبطلة بعض المسلمين الذين لم يكن لهم وعي بالمؤامرة.

ومن أخطر المحاولات التي كشفت المؤامرة على تاريخ الإسلام تلك الحملات المغرضة على أعلام من أبطال المسلمين، مثل تلك الحملة على هارون

الرشيد فقد جرى تلفيق روايات عن هارون الرشيد تظهره كملك الخمر والنساء وروج ذلك جرجي زيدان في رواياته التاريخية حتى أصبح اسم هارون الرشيد مقترناً بالمجون والخمر والنساء على الرغم من أن ابن خلدون في مقدمته قد نبه إلى ذلك بقوله:

(وما علمنا عليه من صحبة سوء فقد قام بمنصب الخلافة في الدين والعدالة وبما كان له من صحبة العلماء والأولياء ومحاورته مع الفضل بن عياض وابن السماك ومكاتبته سفيان الثوري وبكائه من مواعظهم وما كان عليه من المحافظة على أوقات الصلاة).

كما عمد المستشرقون إلى حجب المواقف الحاسمة التي تكشف عن عظمة الإسلام ممثلة في تاريخ أبطالة ومواقفهم، ومن ذلك إغضائهم عن إعلان ما أشارت إليه البرديات الخاصة بفتح مصر والتي تكشف عن سماحة الإسلام وعدالته في معاملة أهل مصر وتحريرهم من الرومان، فقد كشفت هذه البرديات التي اكتشفت أخيراً كيف أن فتح مصر كان عملاً كريماً بالغ الأثر في نفوس أهل مصر، وأن الفاتحين لم يكونوا مجرد غزاة جياع ولا كانوا جماعة مغامرين من البدو راكبي الجمال وإنما كانوا محاربين منظمين أقوياء يحملون أسلحة من الحديد والرصاص ويتعاملون ببسالة في سبيل عقيدة اعتنقوها بإخلاص وقد تحررت مصر بهم من الظلم البيزنطي وتشهد نصوص أخرى من عصر الفتح - كما أشارت إلى ذلك الدكتورة بنت الشاطيء مما أورده (كاربا تشك) في مقدمة (دليل البردى المصري) بأن المسلمين الفاتحين حموا دماء المصريين وأملاكهم واحترموا شخصية البلد العريقة النابعة من حضارة قديمة، كما أشار الأسقف يوحنا إلى أن عمرو بن العاص لم ينزع شيئاً قط من أملاك الكنيسة. . ».

وهكذا نجد أن المؤامرة واسعة النطاق أحد طرقها إنكار فضل المسلمين وعظمة تاريخهم وبطولاتهم والطرق الأخرى تزييف الحقائق وقد ركز الاستشراق في تزييف التاريخ الإسلامي على بتر النصوص، واختيار بعض الوقائع والأحداث، وتفسير الأحداث والأعمال حسب الهوى والغرض.

وأهم من هذا كله هو «نقص الاستجابة» على حد تعبير الدكتور عبد العظيم الديب وذلك نتيجة أن الطبيعة الغربية بصفة عامة ينقصها تقدير الأثر المعنوي والروحي ومايتصل بالغيب وكذلك الجوانب التي يدفع إليها الايمان من التضحية والفداء والاستبسال وهي جوانب بعيدة الأثر في إدراك مفهوم الحياة الإسلامي إدراكاً كاملاً.

ولعلنا لا نغفل عن الخصومة العتيقة والحقد الشديد الذي يوليه المستشرقون الغربيون للدولة العثمانية لما اتصل بهم من علاقات معها خلال أربعة قرون مما أوقد نيران الحقد في صدورهم على إقتحام الإسلام قارة أوروبا حتى أسوار فيينا.

- ٦ -

الحملة على الدولة العثمانية

ماتزال الحملة على الدولة العثمانية جزء من خطة التغريب والغزو الثقافي وما يزال المقربون يتحدثون عما يسمونه الاستعمار العثماني أو التركي، بينما لم تكن كلمة الاستعمار قد وجدت في هذه المرحلة من التاريخ، والحملة على الدولة العثمانية اليوم هي جزء من الخطة التي تغذيها القوى الاستعمارية والصهيونية بدعوى أن هذا الحكم الذي استمر أكثر من أربعة قرون هو في نظرهم من أسباب التخلف والضعف الذي أصاب العالم الإسلامي، جاهلين أن الدولة العثمانية هي التي حمت البلاد العربية من الغزو الأوروبي الذي كان يدبر لها بعد انتهاء الحروب الصليبية، وأن الدولة العثمانية كانت موجة من موجات القوة الإسلامية بعيدة المدى وأنها قامت بدورها في حماية المسلمين من عدوان النفوذ الغربي الذي كان يحاول العودة إلى عالم الإسلامي بعد هزيمته الساحقة في حطين وغيرها من المواقع على أيدي صلاح الدين والمماليك.

ولقد كان موقف السلطان عبد الحميد من الصهيونية هو العامل القريب الذي دفعهم إلى تلك المحاولات فقد وقف شامخاً وصامداً أمام مؤامرت الغرب للسيطرة على بيت المقدس أو إقامة وجود فيها.

بالرغم من الإغراءات التي أغروه بها ومنها تقديم خمسين مليوناً من الجينهات لخزانة الدولة العثمانية وخمسة ملايين جنيه لخزانة السلطان الخاصة.

فلما رفض السلطان هذه العروض تألبوا عليه وأحدثوا عن طريق محافلهم

الماسونية بالاشتراك مع حزب الاتحاد والترقي الذي كان خاضعاً لهم، تلك المؤامرة لإخراج السلطان وإسقاطه، وقد تكشفت خيوط هذه المؤامرة بعد وقت طويل، ولكن ما يزال دعاة القوميات والعلمانيون والماديون والكارهون لنهضة الإسلام يرمون الدولة العثمانية بالاتهامات والأحقاد، مجارين في ذلك خصوم الإسلام في الغرب.

ولما تكشفت هذه الحقائق اليوم واعترف المجتمع الإسلامي للدولة العثمانية بذلك الدور التاريخي يعود العلمانيون مرة أخرى إلى الحديث عن ما أسموه «إعادة اعتبار العثمانيين» محاولين انتقاص الدولة العثمانية ونسبة بعض مظاهر الضعف الذي أصاب المسلمين والعرب إليها ناسيين عظمة الدور الذي قامت به الدولة العثمانية في تاريخها كله، متجاهلين أن كل الأمم لا بد أن تمر بفترات الضعف بعد فترات القوة، وأن الغرب هو الذي تآمر عليها ليحرمها من القدرة على الاستمرار في أداء دورها بتلك التحالفات التي أسموها مقدسة للعدوان عليها وهزيمتها.

يقول الأستاذ زياد أبو عتبة في كتابه (جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك) : لقد كانت الحقبة الزمنية التي شغلها العثمانيون عرضة لأكثر الحملات المغرضة منذ بدايات القرن العشرين وإلى الآن بسبب الأحقاد الصليبية والصهيونية إضافة إلى ظهور النزعات الجاهلية من إقليمية وعنصرية وقد عمدت هذه الحملات على تجاهل الجوانب المضيئة في تاريخ العثمانيين ومحاولة طمسها إلى جانب إلصاق العديد من المفتريات.

بهذا التاريخ، وقد أزاح هذا الكتاب - بالإضافة إلى عدد أخرى من الكتب والأبحاث التي نشرت في السنوات الأخيرة - الركام الذي طمس الجوانب المضيئة للدولة العثمانية ليقدم الأدلة على التزامهم بالإسلام وانطلاقهم منه منذ تأسيس دولتهم والتزام معظم السلاطين العثمانيين مفهوم الجهاد في سبيل الله وقيامهم بواجب الدعوة إلى الله والتسامح الديني تجاه الذميين وإصرارهم على أن يكون الانتماء الإسلامي فوق كل انتماء وموقفهم المبدئي تجاه فلسطين ومحافظتهم عليها وتمسكهم بها وعدم التفريط فيها.

ولا ريب كان ذلك هو موضع خصومتهم مع القوى التغريبية والاستعمارية التي

عمدت منذ وقت بعيد إلى أن تضمن في كتب التاريخ التي تدرس في المدارس الوطنية في العالم الإسلامي كله صورة مظلمة للدولة العثمانية وللمماليك، حقداً على هؤلاء لمواقفهم المشرفة إزاء الحملات الصليبية وعدم تمكين النفوذ الاستعماري من السيطرة عى البلاد العربية، والحيلولة دون وصول الصهيونيين إلى مدينة القدس إلاّ بعد سقوط السلطان عبد الحميد وتولى الاتحاديين الحكم في الدولة العثمانية.

ولا ريب أن موقف أصحاب النزعة القومية المفرقة في الإقليمية والعنصرية أمثال (محمدعميرةوجابر الأنصاري) لا تستطيع مهما ادعت أنها علمية المنهج، أن تتخلص من هذا الفهم المناقض للنظرة الإسلامية الجامعة، فإن أصحاب النزعة القومية الذين يستكثرون العودة إلى الحق في قضية الدولة العثمانية، إنما يضعون مقاييس متعنتة يفرضون بها فكرتهم على التاريخ الإسلامي الذي هو جماع القوميات كلها والذي يعتبر كل العناصر المنضوية تحت لوائه جزء منه ولها دورها، فهم يهاجمون الأتراك العثمانيين ويهاجمون المماليك ويرون أن محاولة رد اعتبار التاريخ العثماني هي محاولة تحزب تاريخي لها ضد المفهوم القومي الخاضع للإقليمية وللعنصرية وهما مفهومان لا يقرهما الإسلام، والواقع أن الخصومة مع الدولة العثمانية هي جزء من مخطط التغريب بالغزو الثقافي الذي يعمل على تمزيق وحدة الجبهة الإسلامية وإقامة الخلاف والخصومة بين العرب والترك، فيما أن المفهوم الإسلامي يدعو إلى التقاء العناصر المختلفة تحت راية الوحدة الإسلامية، في مواجهة الحملات الغربية والصهيونية والشيوعية الموجهة الآن إلى العالم الإسلامي كله.

ولعل اعجب ما في هذه الخصومة أن يختار بابا الفاتيكان يوم ١٥ سبتمبر ١٩٨٣ موعداً لزيارة النمسا ويتعرض في خطابه إلى انتصار القوات المسيحية في القرن السابع عشر على الأتراك العثمانيين الذين كانوا إذ ذاك يحاصرون فيينا، هذه المناسبة هي المعركة التي دارت رحاها في مرتفعات فيينا ١٦٨٣ بين الجيوش المسيحية والجيش التركي في عهد السلطان العثماني الغازي محمد خان الرابع، وهي مناسبة لها ظروفها وتاريخها وليست بمار يثار اليوم لأنه ليس له ظروفه وأوضاعه ولكنها هي المحاولات المستمرة لإثارة الأحقاد والكراهية.

لقد قامت الدولة العثمانية بدورها كاملاً في مواجهة المؤامرة الاستعمارية الغربية المتجددة بعد الحروب الصليبية فكانت حامية لبلاد المغرب العربي والجزائر وتونس من عودة الحملات إليها، وكانت حامية للبلاد العربية (مصر وسوريا) التي طلبت إلى الدولة العثمانية الاتحاد معها في مواجهة المؤامرات الأوروبية الصليبية ، ثم كان لها دورها الثاني في مواجهة المؤامرة الصهيونية على فلسطين والبلاد العربية، حيث جرى العمل على إسقاط السلطان عبد الحميد ثم إسقاط الخلافة الإسلامية لتزول من أمام الصهيونية العالمية القوة الحاجزة لها عن العدوان على فلسطين.

إن كل هذه المؤامرت يجب أن تكشف وتعرف حتى يعرف شبابنا المسلم أمرين:

أولهما : أن هذه الأمة لها قيمها وتاريخها وأمجادها التي إذا تمسك بها شبابنا أعادت بناء أمتنا مرة أخرى.

ثانياً: إن هؤلاء القوم يريدون أن تصاب هذه الأجيال بالشك والكراهية والانتقاص لأمجاد تاريخها حتى تنصرف عنها، إنهم يصنعون اليأس في كل مجال.

- ٧ -

إنهم يزرعون اليأس في قلب الشباب المسلم

إنهم يزرعون روح اليأس والتشاؤم ويفسدون قلوب الأمة حيث لاتيأس من روح الله إلا القوم الكافرون، طمعاً في أن يستسلم المسلمون أمام أسلوب العيش الغربي فيفقدون هويتهم وشخصيتهم وينصهرون في أتون الأممية والعالمية وبذلك يفقدون القدرة على الوجود الذاتي الذي صنعه لهم الإسلام منذ أربع عشر قرناً من أجل أن يكونوا في الناس شامة وأن يصنعوا للإنسانية ذلك النموذج الكريم الذي يتطلع إليه الناس في ظلمات اليأس والأزمة والتمزق الذي يمر به الإنسان والحضارة اليوم.

١- أنهم لم يتركوا مجالاً من مجالات الفكر الإسلامي دون أن يضعوا سمومهم فيه، ليحرفوه عن مواضعه، وليحولوه من صورته الإسلامية الأصيلة إلى صورة مفرغة من مضامينه الحقة، مغرية الوجهة، فهم أصحاب الدعوة إلى تطوير الشريعة الإسلامية رغبة منهم في استقطاب بعض أصحاب الأهواء من أجل تأويل القيم الثابتة بهدف تبرير فساد المجتمعات الحاضرة وأوضاع الحضارة، إنها المحاولة الماكرة للاحتيال على نصوص الشريعة حتى تبرر عوج الحياة المعاصرة باسم تطوير الشريعة.

٢- ثم هناك محاولة جعل التبعية للغرب في مجال التعليم والتربية والثقافة تحت اسم رفع مستوى التعليم وتحديثه والهدف هو تغيير القيم والمقومات الإسلامية وإدخال قيم غربية وافدة عليها تخالف تعاليم الإسلام، وإفساد المرأة وقريحتها وخلط الذكور بالإناث وإخراج المرأة للأسواق وامتهانها بين الرجال مما يعرض المجتمع كله للفساد والأنحلال.

٣ـ ثم هناك بعث التاريخ القديم السابق للإسلام وإحيائه وبذلك تعود الحياة الاجتماعية التي وجد الإسلام مظاهرها إلى الفرقة والتشعب برجوعها إلى أصولها القديمة السابقة على الإسلام.

وفي هذا ما يحقق رغبة النفوذ الأصلي في تقطيع أوصال المجتمع الإسلامي الموحد تحت راية الإسلام وعقيدته ومفاهيمه، وبث روح التنافر والتدابر والتقاطع بين أفراده وجماعاته استدامة للسيطرة الراهنة ومن ذلك استخدام الفلكلور لإحياء الحضارات القديمة السابقة للإسلام، وشغل الناس بخرافاتها وأساطيرها وفنونها وما كان يجري على ألسنتها من أغانٍ أو مثال وأهازيج.

٤ـ ومن ذلك الدعوة إلى تطوير قواعد اللغة العربية تحت اسم تهذيبها أو تيسيرها أو إصلاحها أو تجديدها وهذه دعوة مسمومة تعني شيئاً واحداً هو التحلل من القوانين التي صانت اللغة العربية خلال ألف عام أو يزيد، وقد اقتربت هذه الدعوة بادعاء صعوبة قواعد اللغة العربية وبوقعها من العصر والتطور وتخلفها عن مسايرة العصر والانتفاع بما استحدثه الدارسون في الدراسات وهي دعوة باطلة من وجهين: هي باطلة أولاً لأنها تتجاهل سنة الله من خلق الناس شعوباً وقبائل، وكان من آياته وسنته فيهم اختلاف ألسنتهم وطبيعي حين تختلف الألسنة أن تختلف قواعدها، ومحاولة توحيد القواعد والنظم في اللغات أو الجماعات البشرية هو خرق خبيث حيث يعلم الداعون بها أنها فرع من محاولات متعددة تتجه كلها إلى طمس الفوارق المميزة بين الأجناس والجماعات البشرية، دينية كانت هذه الفوارق أو قومية، وهو ما تسعى إليه الصهيونية العالمية فلا يبقى على وجه الأرض مجتمع متماسك غير المجتمع الإسرائيلي.

٥ـ ومن هذه المؤامرات مؤامرة الشعر الحر وهي دعوى تغريبية واضحة الدلالة ترمي إلى تقليد الغرب في فكره وحضارته فانطلاق الشعر من القافية التي ظل يلتزمها طوال هذه القرون منذ عرفنا الشعر العربي هي دعوة تستمد حجمها ومبرراتها من الشعر الغربي الذي لم يعرف القافية إلاّ في حدود ضيقة من آثار احتكاكه وتأثره بالأدب العربي في الأندلس، وهو يهدف إلى قطع ما بين حاضرنا الأدبي وبين تراثنا

من صلات، ولقد تبين أن الهروب من التزام القافية هو حجة الضعفاء الذين يعجزون عن النهوض بأعباء الشعر من كل جوانبه وعناصره.

وقد نهض بها الفحول من الأقدمين، فما رأينا في شعرهم جوراً على الفكر والصور بسبب التزام القافية، كذلك فإن لكل أمة لسانها الخاص ومزاجها الخاص وتقاليدها، والفنون على اختلافها لها انتماء قومي وشرطها الأساسي أن تجمل عند قومها أولاً قبل كل شيء، وليس مهماً بعد ذلك أن تجمل عند غيرهم (بعض النصوص من الدكتور محمد محمد حسين (بتصرف).

وهكذا تجري المحاولات لاختراق مقومات الفكر الإسلامي وتحريفها وتزييفها بإيجاد قيم جديدة أو مفاهيم جديدة غير ذات الأصل الإسلامي العربي هذه المحاولات كلها ترمي إلى إخراج الفكر الإسلامي من أبرز قيمه وهي النظرة الجامعة بين الروح والمادة والدنيا والآخرة، والتي تستهدف مسؤولية الانسان الفردية والتزامه الأخلاقي والتي تقوم على إيمانه بأن عمله في الحياة إسلامياً خالصاً من أجل بناء المجتمع الإسلامي، فإذا أزيلت تلك الفوارق القمعية بين مفاهيم الحياة والمجتمع والعقيدة والحضارة بين الإسلام والفكر الغربي سقطت الذاتية الإسلامية وانهارت وانصهرت وبذلك يصبح المجتمع الإسلامي عاجزاً عن حماية نفسه، فضلاً عن عجزه الأكبر عن تبليغ رسالة ربه التي تقوم على التميز الخاص، إنهم يريدون أن يقضوا على ذلك الطابع الإسلامي حتى يكسبوا أمرين:

١ـ يكسبون أمة منهارة زالت ذاتيتها وانصهرت في بوتقة حضارتهم وقيمهم فلا يقوم المجتمع الإسلامي أبداً.

٢ـ يكسبون توقف عملية البث التي تكسب كل يوماً علماً من أعلام الفكر الغربي يرى أن الإسلام هو وحدة الأمل في إنقاذ البشرية.

والسؤال بعد: هل سيسقط عالم الإسلام في (براثن) الإحتواء الغربي المدبر له،

وفي تلك الفخاخ المنصوبة في كل مكان، في ميادين الإقتصاد، الشريعة، التربية، الإجتماع، الأدب، اللغة أم سينجو ويحطم كل هذه المؤامرات.

إن تجربتنا القديمة تؤكد لنا أننا لا بد أن ننتصـر أن الإسلام كان قادراً في كل أزمة على الاستجاشة من داخله بعوامل النصر القادرة على تحطيم كل محاولات احتوائـه وصهره.

— ٨ —

لقد فشلت الحضارة الغربية في إعطاء النفس الإنسانية أشواقها

لقد كان عالم الإسلام قادراً دوماً على «الخروج من الأزمة» عندما تستحكم من حوله بالعودة إلى المنابع والتماس الأصالة في التماس القرآن الكريم وسنن الله تبارك وتعالى في الحضارات والأمم والمجتمعات حيث لا تعني هذه النظريات الوافدة شيئاً.

ولقد مضى عالم الإسلام في العصر الحديث حثيثاً نحو الأصالة والرشد الفكري والخروج من التبعية بخطوات ثابتة وإن لم تكن واسعة نتيجة مخطط الحصار والاحتواء الذي دبر له من أجل إيقاعه داخل دائرة السيطرة الأجنبية فكرياً واجتماعياً.

ولكن التجارب والأحداث ونكسة ١٩٦٧ بالذات كل هذه العوامل كانت قادرة على انبعاث صيحة العودة إلى الله وانتقال حركة اليقظة الإسلامية إلى خطوات واسعة نحو النهضة الإسلامية.

وقد أطلق على هذه المرحلة التي يمر بها المسلمون منذ بدء القرن الخامس عشر «مرحلة الصحوة الإسلامية» حيث تتعالى الدعوة إلى الخروج من التبعية والعودة إلى المنابع والتباس الأصالة في كل صقع من أصقاع العالم الإسلامي.

وأبرز هذه العوامل هي فشل معطيات الحضارة الغربية والفكر الغربي المادي في إعطاء النفس الإنسانية بصفة عامة أشواقها الروحية إلى جانب المعطيات المادية، وفشل النظامين الأيديولوجيين الرأسمالي والماركسي وتطلع البشرية إلى نظام جديد يخرج الناس من الظلمات إلى النور.

ولقد ظلت قوى النفوذ الأجنبي عن طريق الغزو الفكري والتغريب في ضرب كل عوامل الصحوة، (والنيل) منها، على مدى السنين ولكن عجز الحضارة العربية والفكر المادي عن العطاء كشف عن أزمة وافرة استع نطاقها، وأصبح مسألة التماس الإسلام كمنقذ للبشرية من العوامل الضرورية التي لا يمكن تجاوزها أو تجاهلها، وبالرغم مما يعنيه المسلمون من أزمات ومحاصرة لا تمكنهم من تقديم الإسلام للبشرية بصورة كاملة، فإن الإسلام نفسه كمنهج حياة ونظام مجتمع بات قادراً على تجاوز مجتمعه المتعسر المضطرب ليقدم نفسه إلى العالم، ويحظى بتقدير كثير من العقول الرشيدة.

ويرى الدكتور حامد ربيع أن الصحوة الإسلامية الحاضرة لم تكن مفاجأة للقيادات الفكرية العالمية فقد توقعها منذ أكثر من ثلاثين عاماً بل هناك من توقعها منذ أكثر من ستين عاماً، وفي عدد من الأبحاث التي كتبها الأمريكي سميث (جامعة مونتريال)في كتاب أسماه (الإسلام اليوم)والإنجليزي «وات»في تحليله للإسلام في العصور الوسطى توقع هذه الصحوة ووصفها بأنها سوف تعود إلى أيديولوجية رابعة ستحكم العالم المعاصر في نهاية القرن الحالي، وأخطر وثيقة في هذا الخصوص تعود إلى عالم روسي هو (تروجانوسكي) مشيراً إلى الثورتين الفرنسية والشيوعية ومتسائلاً متى وأين تأتي الثورة العالمية الثالثة، وإلى أن كلتيهما قد فشلتا في ناحية معينة وأن العالم في حاجة إلى ثورة قادمة تستطيع أن تصحح من مسارات الحركة الإنسانية ويجيب بأن هذه الثورة لن تأتي إلاّ من العالم الإسلامي (وكان ذلك قبل ستين عاماً).

ويقول الدكتور (رشدي قطار) تحت عنوان: إن الإسلام هو البديل لحضارة بلا قلب: لقد انبعث الإسلام كتيار كوني فرض عليه أن يواجه نظريات وضعية تسود العالم الآن والذي لا شك فيه أن الغلبة ستكون للإسلام بمثله وقيمه ونظرياته فنحن نعيش في ظل حضارة مادية بلا قلب ولا عاطفة ولا مشاعر أو روح، ولا بد من بديل لهذه الحضارة، ولا بديل لها يأخذ بطيباتها ويستبعد سيئاتها ويستكمل ما فيها من نقص سوى الإسلام.

فالتيار المادي يعمل على ضرب التيار الروحي والديني، وقد حدث ذلك مرات عبر مسيرة الحضارة الحديثة في الغرب وقد جاءت حضارة الغرب بشكليها الليبرالي والماركسي المتسلطة حالياً على الكون كرد فعل انطلق في البداية بتحفظ للحد من التيار الروحي (الغربي) ليتحول بعد هذا التيار (القرن ١٧/١٨) وتحول النقد إلى تفنيد واعتراض ورفض ليطرح في القرن ١٩ البدائل في شكل مدارس وضعية كالتطورية والدارونية والماركسية واستمر المسلسل حتى البنوية والوضيعة، وكلها مدارس جاءت كبدائل متمركزة حول حوار الإنسان بدلاً من حوار السماء، ولا يمكن أن ينكر ما أعطته الحضارة الغربية بشكليها إزاء مظهر الإنسان الغربي ورفاهيته ورخائه، وإذا كان الغرب خلال ألف سنة قد جسد الخطيئة بشكل واع أوغير واع في التيار الروحي اللاهوتي وتفأجرت في حضارة الغرب الحديثة من خلال مواجهته فالعكس صحيح بالنسبة لنا في الإسلام، ألف عام من الظلمات لديهم تقابلها ألف عام من الإشراق لدينا، عندما كانت راية الإسلام خفاقة عبر هذه العصور، كان إشراق العلم وتحرك العقل وإبداع الفنون، من أجل ذلك يتحرك الإسلام بلا عقد تاريخية أو تجسيد لأدائه أو خطيئته.

واليوم يتساء العالم: هل يستطيع الإسلام بمبادئه ونظرياته استيعاب متطلبات المسلم المتطلع، نعم، إن المبادىء الأساسية التي جاء بها الإسلام قادرة لإنقاذ الإنسان وتحقيق التعامل والتوازن له في داخل ذاته، بين ما هو جسد ونفس وروح والتعامل مع عالمه الخاص كأسرة وجماعات وطبقات ومجتمع وبين ما هو تطبيقي بشري، فعلى سبوك المسلم تجاه هذه المبادىء الأساسية التزاماً قائماً، ومن ثم فهناك قصور التطبيق وهي بشرية وسمو المبادىء وهي إسلامية، أن الإسلام كمبادىء وأسس لا يذهب فقط إلى حد القول بأنه يجسد الصلاحية بل يذهب إلى أبعد من ذلك فنقول أنه لا صلاحية بدونه لإنقاذ الكون.

إن فصل القول عن العمل هو أساس هزيمة الحضارة الغربية وأساس قوة الإسلام ﴿**كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُون**﴾[1] ونقول أن هناك شبه إجماع

---

(١) سورة الصف الآية (٣).

بين المفكرين في الشرق والغرب على أن الحضارة الغربية قد فشلت بجميع ما تحمله الكلمة، بالرغم من أنها نجحت في التقدم الاقتصادي والتكنولوجي ولكنها لم تستطع تقديم الصياغة المعنوية والإكتفاء الذاتي من حيث القيم.

يقول الدكتور حامد ربيع: أن الإنسان الغربي ما يزال معذباً ومطحوناً بغض النظر عن كل ما يمكن أن يقال من المنجزات المادية، أن الأيديولوجيات المعاصرة قد فشلت في أن تقنع العالم بذلك التجاوب الضروري بين السلوك اليومي المعتاد والصياغة الذهنية التي لا هدف لها سوى الإستقرار النفسي من حيث علاقة الحاضر بالمستقبل، فقد فشلت الحضارة حين ظنت أن طريقها للخلاص من الكنيسة هو الخلاص من (الدين) متناسية أن الكنيسة إن فسدت فلا يعني ذلك إن الدين فاسد.

ومن ثم فقد قامت حضارة بدون أن ترتبط بالصانع الأكبر وبالالتزامات الحتمية للإنسان والحضارة وهي (١) المسؤولية الفردية (٢) الالتزام الأخلاقي (٣) الإيمان بالغيب والجزاء ومن ثم كان قيام الحضارة الغربية على الرأسمالية الليبرالية التي ضحت بالجماعة مقابل الفرد والتي قسمت المجتمع إلى طبقتين متمايزتين وما ترتب على ذلك من صراع طبقي وحقد اجتماعي ترسب على الأيام (كما يعبر عنه الأستاذ محمود حظام) نتيجة احتقار فئة لكافة المقدرات لجميع أبناء الشعب.

وما تمخض عنها من قيم مادية متعصبة وفلسفات مادية اتخذت الإجرام والإدمان على المخدرات والهوس والشذوذ الجنسي طريقاً لها (ثم جاء التيار المضاد وهو الماركسية ببلائها الشديد وماديتها وإلحادها.

حتى يرى الكثيرون الآن: إن الجنس البشري بكامله يمشي بخطى حثيثة إلى الهلاك وأنه في النزع الأخير، لا يرجى له شفاء كما يعبر عن ذلك المفكر «لاموتي»، ومن قبل قال «برناردشو» إن الحضارة تحتاج إلى دين وإن حياتها أو موتها يتوقفان على ذلك، وهناك إجماع على أنها حضارة بلا دين اتخذت ربها وراء ظهرها.

كل هذا يوحي بما هو صحيح في كل تقدير وهو بزوغ حضارة جديدة تعرف ربها وتستمد منه العون على إقامة المجتمع الإسلامي.

ـ ٩ ـ

ما تتطلع إليه البشرية: حضارة تعرف ربها

إن ما تتطلع إليه البشرية، هي حضارة تعرف ربها، بعد أن تكشف للباحثين آن سر هزيمة الحضارة المعاصرة أنها عاجزة عن تحقيق البعد الرباني، فبينما الحضارة الغربية كما يصورها «ألكسي كاريل» في كتابه: «الإنسان ذلك المجهود»: يلتهمها الهموم والقلق الذي يعاني منه سكان المدن العصرية والذي تولد عن نظمهم السياسية والاقتصادية والإجتماعية، فكأن البيئة التي أوجدها العلم للإنسان لا تلائمه لأنها أنشئت دون اعتبار ذات الإنسان فإن حضارة الإسلام تختلف حين تتميز بأمور عديدة غائبة عن أفق الحضارة المعاصرة.

١ـ الطبيعة الأخلاقية

٢ـ التوفيق بين الفردية والجماعية

٣ـ عالمية وشمول النظرة إلى الإنسان بغض النظر عن جنسه ودينه.

حيث يرفض الإسلام مخالفاً جميع التيارات السياسية الأخرى: التقاليد الغربية في تعصبها للفردية ويرفض الماركسية في تأكيدها لسيادة العنصر الاجتماعي وإلغاء الفرد، ويرفض النازية والفاشية كنتيجة لمبالغتها في تأكيد العنصرية، هذه العوامل تؤكد أن الفكر السياسي الإسلامي مؤهلاً لأن يؤدي وظيفة هامة في الأعوام القادمة، وقد كان الإسلام دائماً حضارة متفتحة ولم يكن حضارة مقلدة لم تعرف التعصب الأعمى.

يقول شبنجلر: أن حضارة جديدة أوشكت عى الشروق في أروع صورة، هي حضارة الإسلام التي تملك أقوى قوة روحانية عالمية، ويقول «برناردشو»: أوروبا لو

احتاجت إلى دين تتبعه لينقذها مما هي سائرة فيه من دمار محقق لا مناص لها عن الإسلام.

ولكن الغرب عنيد ولا تكفيه هذه التلميحات وأنه ما زال مصراً على استعلائه وكبريائه الكاذب بل إنه كما يقول (ماكتبل) «هذا الطور الأخير من الحضارة الغربية الغابرة أشبه بالوحش الذي بلغت شراسته النهاية في إنتهاكه لكل ما هو معنوي، وقد بلغ اعتداؤه على تراث السلف وعلى كل مقدس ومحرم قمته، ثم أنشب مخالبه في أمعائه فانتزعها وأخذ يمزقها ويلوكها بين فكيه بمنتهى الغيظ والتشفي».

نعم إن الغرب يصل الآن إلى «مرحلة المأزق» كما يعبر عنها بعض الباحثين أو مرحلة الطريق المسدود كما يعبر عنها جارودي وغيره، وليس هناك سبيل أمام الغرب إلا أن تقرع آذانه الحقائق التي يسمعها لأول مرة من أهله وأبنائه » على الغرب أن يعلم أنه ليس وحده مركز المبادرة التاريخية أو مبتدع القيم الحضارية والثقافية، بل على الغرب أن يعرف ويعلن أنه مدين للحضارات الأخرى، وخاصة الحضارة الإسلامية، وأن هذا هو الشرط الوحيد لإنقاذه من الاقتراض وأن الإسلام هو الحل الوحيد لإنقاذ البشرية».

ولكن الغرب والقوى الغازية ما زالت تعمل لتحول دون امتلاك عالم الإسلام لإرادته بوسائل كثيرة، أهمها الدعوة إلى تحديد النسل وفتح أبواب الهجرة واسعة للعقول، واستنزاف موارده واحتجاز ثروته وراء خزائن الغرب، كل هذا يرمي للحيلولة دون امتلاك إرادته، مع إدامة التخلف الاقتصادي والاجتماعي.

يقول الدكتور حامد ربيع: إن العالم الأبيض يدرك قوة العالم الإسلامي ومن ثم يمنع ذلك العالم أن يستخدم مصادر قوته الحقيقية، أي أنه يشل هذه القوة، أن الدعوة إلى تحديد نسل المسلمين مشبوهة ، هذا يفسر لنا كمسلمين هذا الاهتمام الغريب من جانب الغرب بتحديد نسل المسلمين حيث يمولون حملة تنظيم النسل أو تحديده في البلاد العربية والإسلامية وإنفاق مئات الملايين في سبيل ذلك».

ويرجع هذا إلى تنامي تعداد المسلمين، في نفس الوقت الذي تتضاءل فيه النمو

السكاني الغربي، وتلك حقيقة غاية في الخطورة تتكشف أثمارها في نهاية القرن الميلادي، حيث أن الانفجار السكاني الخطير الذي يفزع منه الغرب يوجد أساساً في المجتمع الإسلامي وأن عدد المسلمين في نهاية القرن الميلادي سيزيد عن الألف مليون (وفي تقديرنا أنه الآن قد بلغ الألف مليون وتعداها).

يقول برجنسكي: أن هناك رعباً وهلعاً من الفيضان الديمغرافي في العالم الإسلامي وهم يعلمون أن حركات الغزو كان مردها الفيضان السكاني.

ونحن إذا نظرنا إلى خريطة المسلمين في العالم وجدنا أن المسلمين في الاتحاد السوفييتي الذين تقدر نسبتهم للمجتمع الكلي بما يزيد عن ٢٠ في المائة يتوقع ارتفاع نسبتهم خلال العشرين سنة القادمة إلى ٤٥ في المائة.

وأن المسلمين في فرنسا يمثلون الأقلية الثانية عقب الأقلية البروتستانتية مباشرة وأن المسلمين في الولايات المتحدة يشكلون أغلب القيادات السوداء وهم بهذا ذوو تأثير في توجيه الأقلية السوداء. وفي بريطانيا ٥٠ ألف بريطاني اعتنقوا الإسلام وأن الإسلام يزداد شعبية في بريطانيا حيث يعتبر هو الدين الثاني.

وفي إسبانيا وبعد هزيمة المسلمين التي مضى عليها زهاء سبعة قرون تم وضع حجر الأساس لأول مسجد في إسبانيا في التاسع من أكتوبر ١٩٨٠ بالقرب من مدينة قرطبة التاريخية.

ويتراجع الإلحاد والشيوعية في أقوى معاقلها في العديد من المبادىء والمنطلقات التي اعتبرت أساسية في فلسفتها، كما نرى في رومانيا، وتشكوسلوفاكيا والمجر، ويوغسلافيا وبولندا.

أما في بلاد المسلمين فقد تراجعت المذاهب والتيارات القومية التي روَّج لها الاستعمار بشكليه القديم والحديث، يقول الأستاذ محمود خطاب أن القومية التي توهم المروجون لها أنها ستوحد العرب وتجعلهم أمة واحدة وتعيد للعرب مجدهم ما فتئت تكرس الإقليمية والتجزئة التي خلفها الإستعمار وما برح دعاة القومية يقصرون نضالهم وكفاحهم من الاستعمار والإمبريالية والصهيونية من خلال التشبث

بالنفوذ وقمع كل محاولات العمل من خلال النظرة الإسلامية الجامعة وقد جرب المسلمون الديمقراطية الغربية فاخفقت في الوصول إلى استقرار سياسي وسلام اجتماعي ورخاء اقتصادي، ثم لجاوأ إلى الاشتراكية تعويضاً عن فشلهم في تجربة الديمقراطية الغربية دون أن ينتهوا إلى نتيجة تضمن لهم ما يتطلعون إليه من كفاية وعدالة ومساواة وقد تبين لهم من خلال هذه التجربة حقيقة واضحة وأساسية وهي صلاحية الإسلام بكل زمان ومكان ونظريته الجامعة الشاملة وثباته في نهاية المطاف كدين ومنهج حياة من خلال الصراع الطويل مع المذاهب والأيديولوجيات الأخرى.

ويرى كثير من الباحثين أن الازمات الخانقة التي تعيشها الأمة الإسلامية اليوم لا يمكن أن تكون إلاّ إيذاناً بزوال أسباب التخلف وقرب الخروج من المأزق وأن هذه الأزمات على ساحة الإسلام هي آلام المخاض وقمة العسر الذي كتب الله أن يعقبه يسر طال الوقت أو قصر، وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

ولعل أبرز معالم هذه الفترة التي تجتازها هي عودة الناس إلى الله تبارك وتعالى بعد أن خاضوا غمار تجارب عديدة من الإلحاد والفوضى والإباحية والعبثية ولإقناع البشرية بأن الطريق الوحيد هو إسلام الوجه لله، وإن كل هذه المحاولات في إطفاء نور الله باطلة وزائلة **﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤُا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُ إِلاَّ أَنْ يَتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ﴾**[1].

ولكن الصحوة الإسلامية ما زالت في حاجة إلى ترشيد وحماية حتى تصل إلى غايتها.

---

(١) سورة التوبة الآيتان (٣٢/ ٣٣).

– ١٠ –

ترشيد الصحوة الإسلامية

إن الموقف الآن يتمثل في المعادلة الاتية:

أولاً: سقوط الحضارة الغربية وانهيارها وانكشاف ذلك لأهلها.

ثانياً: بروز البديل القوي القادر على تقديم منهج حياة شريفة كريمة هو الإسلام.

ثالثاً: محاولات مستميته ترمي إلى ضرب الصحوة الإسلامية وتأخير النهضة، وإجهاض حركة اليقظة جملة.

رابعاً: ضرورة العمل الذكي الواعي لترشيد الصحوة الإسلامية وحمايتها من المعوقات التي تحاول أن تصطدم بها في لباقة ومرونة.

فكيف يمكن أن يتم ذلك؟ هذا هو العمل المطلوب الآن، وعلى المسلمين الدور الأكبر فيه، عليهم أن يكونوا قادرين على إقامة المجتمع الإسلامي الذي سيكون النموذج الحق أمام البشرية المتطلعة الآن إلى الخروج من المأزق والتحرر من الأزمة الخانقة فكيف يستطيع المسلمون القيام بهذه الأمة في نفس الوقت الذي يضربهم الغرب والقوى الاستعمارية من كل مكان في محاولة للحيلولة بينهم وبين امتلاك إرادتهم أو تحقيق خطوة على الطريق الصحيح.

أما من ناحية الغرب وحضارته ومجتمعه فقد تبين بما لا يدع مجالاً للشك عجزه عن تحقيق مطامح النفس الإنسانية أو حل مشاكل البشرية سواء في نظر أهل الحضارة

أنفسهم أم في نظر المسلمين الذين أحسوا بالأسف لتجربتهم مع الغرب بشقيه خلال أكثر من قرن كامل دون أن يتحقق لهم شيء، بل أحسوا بأن الغرب يخدعهم ويمكر بهم ويحاول احتوائهم وصهرهم في بوتقة الأممية والعالمية بحيث لا يستطيعون حماية وجودهم وكيانهم وذاتيتهم، بما يمكنهم من إقامة مجتمعهم الإسلامي أبداً.

اما الغرب فقد تبين أنه لعب بالأمانة التي وكلت إليه ولم يحفظها وظن أنها مسألة سهلة ميسره واستهان بمقدرات الأمم وضيعها في مجال الترف والملاذ والأهواء والإسراف البالغ والشهوات المضلة وأمعن في هذا الطريق إمعاناً شديداً مخالفاً سنن الله تبارك وتعالى ومعارضاً للفطرة والعلم حتى وصل إلى (الطريق المسدود) أو المأزق العالمي.

ولقد كشف العلماء هذه الحقيقة الخطيرة وهي استنزاف موارد الأرض بالاستهلاك وامتصاص خيرات الكون في الترف والاستهلاك شأن القاصر السفيه الذي لم يبلغ الرشد المحتاج إلى الحجر عليه، وحيث فسد التوزيع فهناك بشر لا يجد ما يأكله وبشر يلقي بكل شيء، وقد حدث هذا كله للإصرار من الحضارة الغربية على إنكار الله تبارك وتعالى وعدم الاعتراف بربوبيته وتوجيهه والعمل داخل إرادته التي رسمها للأمم والحضارات والخروج على حدوده مما أفسد نظام المجتمع إفساداً شديداً وجعل هذه الحضارة مهددة بما وقع لأسلافها من الحضارات.

وبينما يحدث هذا ويستعلن على ألسنة كتَّاب الغرب، نجد تلك المحاولة المستميته للحيلولة بين البشرية وبين تلقي النور الجديد الذي هو منقذها الوحيد، هناك الصهيونية التلمودية، التي تحول دون ذلك وتفسد الخطوات المتجهة إلى منهج الله إفساداً شديداً، وتسرف في تكثيف عمليات التغريب والغزو الثقافي والاستشراق الأسود والتبشير بتسميم العقول، سواء عقول المسلمين أو الغربيين في وقفة عنيدة للحيلولة دون وصول ضوء الفجر القادم إلى الأمم، وهي محاولة مقضي عليها بالفشل ولن تصمد طويلاً أمام قوة الحق ولعل مما يمد في ضلالها ضعف المسلمين الآن وما تكبلهم به القيود من تبعية اقتصادية وسياسية بغيضة إلى سلاسل الغرب وقيوده ووجود هذا الكيان المنهار في قلب عالم المسلمين مسيطراً على بيت المقدس.

وكل هذه التحديات من شأنها أن تدفع الصحوة الإسلامية دفعاً إلى أن تؤسس فكرها على مصادر الإسلام الصحيحة من كتاب وسنة، وأن تتمسك بالجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن تدعو في قوة وأصالة إلى تحرير الفكر الإسلامي من تلك المعوقات المسمومة في مختلف مجالات الاقتصاد والاجتماع والسياسة والتربية وتحرير العقل الإسلامي من التبعية والقلب الإسلامي من الولاء لغير الله تبارك وتعالى ونبيه وكتابه والاستعانة بالمنهج الإسلامي الاصيل في وضع الحلول للقضايا الاجتماعية اليومية وتسوية المنهج التربوي الإسلامي وإحياء روح الثقة في القيم الإسلامية والتاريخ الإسلامي ومقاومة خطة اليأس وإثارة الإنتقاص بالإسلام ولغته وقيمه وتاريخه.

إن النظام التعليمي السائد في معظم دول العالم الإسلامي مستورد ومخالف لمفاهيم الإسلامي، فلا بد من أن تعلو صيحة تأهيل التعليم وأسلمته وهي صيحة لا ترفض العلم الحديث ولا وسائله التقنية ولكنها تطلب وضع ذلك كله في إطار الإسلام بمفهومه التوجيه الخالص ولقد بات واضحاً أن أخطر التحديات اليوم التي تواجه المسلمين هو النظام التعليمي السائد في العالم الإسلامي والمرتبط بالحضارة العربية والذي يقوم على مفهوم يخالف مفهوم الإسلام وفيه الغلبة للقيم المادية على القيم الروحية، ولا ريب أن الجانب الثاني للغزو هو الإعلام المقروء والمسموع والمرئي والذي يمثل الحضارة الغربية وقيمها وله تأثير كبير على المجتمع الإسلامي، ومن هنا فلا بد من تنشئة جيل جديد يحاول أن يلتمس طريقه إلى الله تبارك وتعالى ولا بد أن تعود القيادة الإسلامية مرة أخرى لتصحح هذه الأوضاع على أساس:

١ـ الفهم الصحيح للإسلام عقيدة ومنهج حياة

٢ـ الأخذ بالتشريع الإسلامي

٣ـ تصحيح مسار قضية المرأة.

٤ـ وعي الشباب المسلم بتحديات التغريب ومدى النفوذ الأجنبي في احتواء فكر الأمة الإسلامية ونهب ثرواتها

٥ـ فساد الحضارة الغربية.

ويرسم الدكتور راشد الفرحان تصوراً للمنهج الإسلامي يقوم على تغيير المفهوم فيما يتعلق بالجوانب التالية:

أولاً: صلة الإنسان بربه.

ثانياً: مكان الدين في الحياة

ثالثاً: صلة الإنسان بالكون.

. رابعاً: صلة الإنسان بالمجتمع على أن تكون كل المعرفة الإنسانية التي يتلقاها الطالب المسلم تأكيداً لهذا المفهوم وترسيخاً له وتوضيحاً ، ومن ثم تنشأ قيم جديدة هي قيم إسلامية ، وبلغة اليوم، ولا بد من تأصيل التعليم وإعادته لمصادر الإسلام الصحيحة.

كذلك بالنسبة للعلوم لا بد أن تكون لها وجهة إسلامية في دراستها وفي منطلقها (الكيمياء والفيزياء فهي كانت نوعاً من المعارف فالغربيون يوجهونها وجهة، والشيوعيون يوجهونها وجهة أخرى).

وللإسلام فيها وجهة مغايرة للوجهتين ، نحن المسلمون لا نرفض العلم ولا المعارف العامة ولكن نصهرها في بوتقة إسلامية من حيث طبيعتها ومن حيث وجهتها واستخدامها.

وجملة القول أن الصحوة الإسلامية هي حقيقة مؤكدة، وأن سقوط الفكر المادي والفلسفة المادية ووجهة حضارة الغرب أمر غير مشكوك فيه والبشرية تتطلع إلى فجر جديد، وهناك محاولات للحيلولة دون إشراقه ولكن نواميس الكون وسنن الحضارات والأمم يؤكد أنه على الأبواب، فليعمل المسلمون على طريق الله يستنيرون الغد المرتيب. ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[١].

---

(١) سورة النحل الآية (١).

فهـــرس

الباب الأول

الباب الثاني

الباب الثالث

الباب الرابع